مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للاساتذة

الدكتور محمد يوسف موسى	ابراهيم سليمان الكواز
الدكتور محمد مصطفى حلمى	حسنى طه شكيبان
الدكتور محمد غلاب	عبد المنصف محمودعبدالفتاح
الدكتور عبد الحليم محمود	محمد على الطعمى
الدكتور ابراهيم مصطفى عبده	محمد لبيب البوهى
الدكتور محمد جمال الفندى	محمود شلبى
الدكتور محمد اقبال	كمال الشاهد
سعادة سفير الافغان	محمد محمود علوان

طه عبد الباقى سرور

مع الابواب الثابتة : ندوة المجلة ، أسئلة القراء

اخبار صوفية : منهج التصوف . . . .

الثمن ٥ ـ

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الاسلام والتصوف

مجلة اسبوعية تصدر شهرية موقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك السنوي
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد السابع • أول ديسمبر ١٩٥٨ م ٢٠ من جمادى الاولى ١٣٧٨ هـ

عبيد الاستعمار وأعوانه
لاينتسبون الى بيت النبوة

لسماحة السيد محمد محمود علوان

جلالة الملك حسين ... عمان

« باسم مشيخة الطرق الصوفية بالجمهورية العربية المتحدة ، وهى تضم اكبر مجموعة من ابناء آل البيت ، وتمثل الروحية الاسلامية العالمية ، نعلن للعالم عامة وللامة العربية خاصة أن الله ورسوله يبرآن ممن يحالف الاستعمار والصهيونية ويحارب العروبة والاسلام •

اسأل الله أن يلهمك الرشد ، ويعينك على نفسك حتى تقف بجوار الاحرار المجاهدين .. »

محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

١٥ يوليه عام ١٩٥٨

تلك هى البرقية التى ارسلناها الى الملك حسين فى منتصف شهر يوليه الماضى ، حينما خرج سافرا على اجماع الامة العربية ، ورمى بنفسه

عامدا بين احضان الاستعمار ، واستعدى جنود الاحتلال على بلاده ،وعرض منطقة الشرق الاوسط ، بل عرض العالم بأسره للحرب والفناء .

ولم نشأ أن ننشر هذه البرقية حينئذن ، فما كنا نقصد بها دعاية أو تظاهرا ، بل أردنا بها وجه الله سبحانه ، والدفاع عن وطننا العربى الكبير وتبصير حسين وهو يلعب بالنار فى غرور وجهالة ، بان النسب الكريم الذى يستند اليه ، ويتبجح به ، ويستتر خلفه ، لا يعصمه ، ولا ينقذه ، من سوء عمله ، وان هذا النسب الشريف هو أول المتبرئين منه ،والمتخلين عنه .

ولقد هللت صحافة اسرائيل ضد هذه البرقية ، ولطمت خدها دفاعا عن حسين ، ونددت بالطرق الصوفية التى جعلت منه خارجا على الاسلام ، وخارجا على بيت النبوة .

وكشفت اسرائيل بهذا الدفاع عن الخطوط الخفيـــة التى تربط بين السياستين ، وتوحد بين الاتجاهين !؟

ان الانتساب الى بيت النبوة لشرف عظيم ، ومقام كريم ، ولكن لهـذا الانتساب قواعدا وشروطا ، فمن أخل بهما فقد ارتكب اثما مضاعفـــا ، وغدت جريمته بشقين ، جريمة بذاتها وجريمة ضد البيت النبوى نفسه .

يكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص خال رسول الله فيقول له : « ان الله ليس بينه وبين أحد نسـب الا طاعته ، فالنـــاس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

والله سبحانه يقول لسيـدنا نوح وهو رسوله الكريم حينمـــا هتفه مستغيثـا بالله لينجى له ابنـه من الطوفان : « **يانوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح** » .

فالعمل الصالح هو اذن الذى يرتفع بالابنـــاء الى شرف الاتصـــال والانتساب الى الانبياء ، فاذا انقلبت اعمـال الابنـــاء الى الشر والسوء ، والاضرار بالصالح العام ، والخيانة لقضايا الحق والحرية ، فقد برئت رسل الله كافة ممن يفعل هذا ، أو يناصره أو يدعو اليه .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « يابنى هاشم لا يجيئنى الناس بالاعمال وتجيئوننى بالانساب » ويقول لابنته فاطمة الزهراء سيدة النساء : « يا فاطمة بنت محمد اعملى فوالله لا اغنى عنك من الله شيئا » .

وعلى هذه القاعدة من الكتاب والسنة ، اعلنت الملك حسين باسم الطرق الصوفية ، وهى التى تضم صفوة أهل البيت النبوى الكريم وهى التى تمثل القوة الروحية الاسلامية العالمية ، وهى التى تمثل اصـــدق تمثيل رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، براءة الله ورسوله منه ومن امثاله الذين يدمرون اوطانهم ، ويخربون بيوتهم ، ويخرجون على اجماع شعوبهم

وينالون من الاسم الكريم الذى يزعمون الانتساب اليـــه ، ويسيئون الى الرسالة التى جاء بها هذا الرسول .

ان الاسلام عمل صالح ، وجهاد كريم ، ضد كل شر وعدوان ، ورسالة فيها الهدى والخير والسلام للناس كافة ، انه مبادىء لا اشخاص ،واعمال لا انتساب ، والله سبحانه كما يقول رسوله عليه الســـلام : لا ينظر الى صور الناس وانسابهم ، وانما ينظر الى قلوبهم واعمالهم .

ومودة القربى التى أشار اليها القرآن الكريم : « قل لا أسألكم عليـه اجرا الا المودة فى القربى » وهى الآية التى جعل منها حسين وامثاله مبكى يستدرون عنده عواطف الناس ، واتخذوها ستـــارا يلوذون به ، وقناعا يستترون خلفه .

هى القربى المؤمنة التقية النقية ، الصالحة النافعة ، المستمسكة بهدى الله وأعمال رسوله ، لا القربى الجاحدة المارقة المدمرة لكل تعاليم الاســلام ومبادئه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينل من مكانته ان يكون عمه أبو لهب ، وانه سيصلى نارا ذات لهب ، وان امرأته ستكون يوم القيامةحمالة الحطب .

ان رسول الله صلوات الله عليه كما حدثنا وهو الصادق الآمن : جد كل تقى ، وولى كل مؤمن صالح : وعلى هذا فحسين ، وقد تجرد منعروبته وتمرد على وطنه ، وتحالف مع أعداء بلاده ، واتحدت أهدافه مع الصهيونية العالمية ، التى أضمرت وتضمر دائما أبدا عداوة الاسلام والمسلمين ، حسين هذا لم يعد من بيت النبوة ، ولا ينبغى له هذا الشرف ، لأنه شرف رفيع لا يناله الا من اتبع نهج الرسول الذى يستمد منه هذا الشرف .

وكما يخرج حسين من هذا المقام الكريم يدخل الى ساحته كل مؤمن تقى يجاهد لاعلاء كلمة الله ، واعزاز الحق ، وتطهير أرض العروبة والاسلام من البغى والعدوان والاستعمار .

والانبياء كما ورد فى الحديث الصحيح ، لا يورثون مالا ولا عقارا وانما يورثون العلم والاخلاق ، ويورثون حمل اعباء الرسالة واعلام الجهاد .

ان المجاهدين المناضلين الاحرار ، هم أولى الناس برسول الله ، وهم فى الناس بشرف الانتساب الى دعوته ورسالته .

ان موكب العروبة الطاهرة المؤمنة يسير اليوم الى النصر لاكبر ، يحفه رضوان الله ، وبركات نبيه .

وكل متخلف عن الركب العربى ، وكل خارج على الصف الاســلامى ، وكل حليف للصهيونية والاستعمار ، فهو طريد العروبة ، وطريدرسولها الاكبر صلوات اللهوسلامة عليه . والله ولى الذين آمنوا ، وهو يهدى الى سواء السبيل .

مهرجان موتور

يتطاول على التصوف والصوفية

للاستاذ طه عبد الباقى سرور

لهذه المجلة رسالة قدسية مضيئة ، آمنت بها ، وعملت لها ، وعاهدت الله عليها ، ومن الخطوط الرئيسية لهذه الرسالة ، ان تضع بين ايدى العالم الاسلامى ، الدعوة المحمدية فى نقائها وجلالها وروحانيتها ، كما بينها القرآن الكريم ، وأوضحها الرسول العظيم ، وعمل بها السابقون الراشدون .

وان تدعو الى الاخوة الاسلامية ، اخوة التعاطف والتراحم ، والتآزر والتساند ، فى كل حقل من حقول الحياة ، حتى تكون العزة للمؤمنين ، لان عزتهم من عزة الله ، ومن عزة الرسالة .

وان تجلو التصوف الاسلامى ، وترفع عنه الحجب ، وتمسح عن جبينه ما دس عليه ، وأضيف اليه ، وتبينه للناس ، صراطا مستقيما ، ومنهجا ربانيا ، وقوة روحية ، هى أعظم القوى الانبعاثية المهتدية التى عرفها التاريخ ، وهى اسمى المثاليات العالمية ، فى مناهج الاخلاق والسلوك والتربية .

وآمنت هذه الصحيفة ، بأن الداعية الى الله ، يحمل فى يمينه قلما فيه قبس من أنوار النبوة ، وفيه بقية من الهامات الرسالة ، فلا يجرى الا بالكلم الطيب الذى يتلألأ سناه وهداه ، ليكون للعالمين نذيرا وبشيرا ، وللانسانية رحمة وهدى وعصمة مما يتخطف الناس اليوم ، ويفرقهم شيعا واحزابا ، ويبددهم جماعات وأفرادا .

ومن هنا حرصت هذه المجلة اكبر الحرص على ان ترتفع برسالتها عن مواطن الصراع ، وملاحم الشقاق ، لقد جاءت لتلقى سلاما وتضمد جراحا ، وتتبع صراطا مستقيما لا تهاتر فيه ولا لغوب .

ولكن يأبى علينا بعض الناس أن نسير فى طريقنا ، يقول الامام الشعرانى : « لقد ابتلى الله هذه الطائفة الكريمة — أهل التصوف — بشرار الخلق ، كما ابتلى الانبياء والرسل من قبلهم بالفسقة والمارقين والجبارين ، ليميز الله الخبيث من الطيب » : « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

ولكل عصر لونه وطابعه ، ومهرجه ومارقه ، ولقد ابتلينا فى شرقنا العربى بمهرجين ومارقين وخارجين على شعوبهم وعروبتهم ودينهم ، راحوا يتواثبون على المسرح ليلعبوا دور المشعوذ المغرور المفتون ، الذى يحاول فى بلاهة ما جنة ، ان يطاول العمالقة ، وان ينازل رسل الوطنية ، والحرية ، والقومية العربية :

وكما يتقنع بعض الاقزام المارقين بقناع العروبة ليخدع العروبة ، وكما يستتر بعض المهرجين خلف الاحساب والانساب ، ليمزق الوحدة ، تقنع مهرج صغير بقناع التصوف ، واستتر خلف دعوته ، وراح يريق سحرا خادعا ، وافكامضللا لينال من النهضة الصوفية المباركة ، التى بدأ فجرها ، وانتظم صفها ، وسلكت سبلها • هذه النهضة التى غدت دعامة كبرى من دعامات وطننا العربى ، وقوة عظمى من قوى وثبتنا المباركة ، ورسالة تمد قوميتنا العربية ، بأفقها المثالى ، فى الاخلاق والتربية ، والتضحية والفداء، وتصنع لها زادها الروحى والمعنوى والايمانى ، وهو الوقود الذى يمد الشعوب الناهضة دائما بالقوة والخلود •

ان نهضتنا الصوفية الكبرى التى تصنع اليوم على عين الدنيا ، وبرعاية عظمى من الثورة المباركة ، وقائدها العظيم ، الموفق المبارك الملهم الموجه لكل خير ، البانى لكل مجد ، الناهض بكل مرفق مادى وروحى فى بلاد العروبة المقدسة •

ان هذه النهضة الاصلاحية التى نشاهدها اليوم من الطرق الصوفية وهى تنتفض وتثب ، وتجمع صفوفها ، وتحدد أهدافها ، وتعمل ليلها ونهارها ، كى ترشداتباعها، بالمحاضرات والندوات والاجتماعات والصحف والكتب ، الى روح الاسلام وروحانيته الايجابية ، التى تعمر القلوب بالطهر والعبادة ، وتوجه الفرد والمجتمع الى الايمان بربه ووطنه ، والحب لامته ، والجهاد فى سبيل عزته ، ومجد بلاده •

هذه الوثبة التى تستهدف بناء مجتمع صالح متساند متكافل متعاون على مودة واخوة •

هذه النهضة التى تحفظ قلب أمتنا من التيارات الانحلالية والالحادية والوجودية ، وتصوغ له مثالياته الايمانية ، وآفاقه الخلقية ، وتسلك به سبلا ربانية كريمة طاهرة مبرأة من الغل والحقد والحسد ، بعيدة عن الجمود والجحود ، والتمزق والتعصب الطائفى ، والتنطع الفكرى ، والانعزال النسكى •

هذه النهضة التى تجعل الصوفى المسلم قوة ايجابيـــة فعالة مؤثرة متجاوبة مع اهداف وطنه ، ورسالة دينه ، وخير الانسانية التى يعيش معها فى كوكب واحد ، ووطن عالمى مشترك .

هذه النهضة التى طهرت التصوف مما الصق به ، أو دس عليـه ، من العادات البالية ، والتقاليد الجامدة ، التى شجعتها واوجدتها العهود البائدة التى استهدفت ان تحطم المصابيح الروحية والفكرية والايمانية فى قلب هذه الامة ، ليسهل عليها استعبادها واستغلالها .

هذه النهضة التى اصبحت من علامات الثورة ، ومن أياديها البيضاء على الوطن والدين .

هذه النهضة التى يباركها اليوم كل غيور على دينه ، ومحب لوطنـــه فى كل انحاء الامة العربية .

هذه النهضة ، وهذا العمل العظيم ، قد حطم أمل رجل واحد ، ومزق قلب رجل واحد !!

لقد عز عليـه ، ونال منـــه ، ان يرى الركب الصوفى يتحرك ويتحرر ويعمل ويجاهد وينتصر وهو بعيد منبوذ !!

وعز عليه ، ونال منه، أن يرى الطرق الصوفية تأخذ بأسباب الاصلاح والنهوض ، ويتولى زمامها ، ويشرف على امورها ، رجل مؤمن بالتصوف والصوفية ، وهب نفسه ، ورصد قواه ، ليجعل منها قوة دينية ، وعزة وطنية ، ووثبة روحية ، وتربية اخلاقية ايجابية .

واذن فما جدوى حركاته العصبية ، وما هدف انفعالاته وغضـــباته ، وتمثيلياته المسرحية !؟

كيف يتخلى فجأة عن الراية التى عاش تحت ظلالها يشتم الناس جميعا باسم التصوف ؟ ويسخر من الصوفية باسم الاصلاح ؟ ويتهجم على كل مقام لأنه غيور على الدعوى !؟

لقد وضع هذا الانسان فى حجرته بعشيرته امام بصره ، وفى اتجـاه مكتبه ، لافتة عجيبة حقا ، تمثل نفسيته صدقا ، هذه اللافتة كتب عليهـا بالخط العريض الجميل ... « النجاح الحاح !؟ »

لم يقل مثلا وهو الشيخ الذى ينتسب للتصوف • ان النجاح اخلاق : أو ايمان : أو ثقة بالله ••• كلا لا شأن له بهذا • فالنجاح عنده ولديه • هو الاخلاح ؟ الاخلاح فحسب ؟ الاخلاح من كل لون ؟ وعلى كل صفة وصبغة•

واذن فليعمل بآيته الخالدة ، وشعاره الحبيب العجيب : فليلـــح فى الافتراء والسباب ، وليواصل حملته على التصوف والصوفية • كما كان من قبل ، وليصنع كما صنع قوم نوح عليه السلام ،كلمـــا سمعوا الحق ورؤا النور والعمل الصالح ، جعلوا اصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا الصدق والحق ، واستغشوا ثيابهم حتى لا يبصروا العمـــل الصالح ، وأصروا على باطلهم ، واستكبروا استكبارا •

ومن ثم راح يعربد على وجه صحيفته، فالمواكب الصوفية، وقد طهرت مما كان يشوبها •• باطل !؟ والاحتفالات الدينية الصوفية ، وقد غدت نورا وخيرا وعملا صالحا مباركا ، ودعوة روحية مضيئة ، يجتمع لها كبار العلماء والادباء ، وأساتذة الجامعات ، وصفوة المثقفين ، وكبار رجالات العروبة والاسلام • كل هذا فراغ وباطل ! ؟

ورسالة التصوف • وقد اصبحت تملك صحفا وكتبا واقلاما وألسنة واعية مؤمنة تناضل لعقيدتها ووطنها ••كل هذا لايراه الشيخ ولايشاهده ولم يسمع عنه •

ان ابسط واجبات الادب الصوفى ، هو عفة اللفظ ، وكرم القصد،وأول مبادىء الروح الصوفى ، هو الصدق والامانة ، وأول سطر فى صحيفة الانسان المهذب • فضلا عن الداعية المؤمن ، ان يقول للمحسن احسنت ، وان يبارك كل عمل يستهدف الخير والنفع العام •

هذا هو أدب التصوف ، وأدب الانسان المهذب ، وأدب كل داعيـــة يؤمن بما يقول •

وصدق الله العظيم • « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلهـا ثابت وفرعها فى السماء • ومثل كلمة خبيثة ، كشجرة خبيثة ، اجتثت من فوق الارض مالها من قرار » •

طه عبد الباقى سرور

أوربا والإسلام

للاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
استاذ الفلسفة بكلية اصول الدين

يرى كثير من الناس أن الاسلام واضح جلى ، وأن تعاليمه سهلة ميسورة تنسجم مع العقل والمنطق ثم يندهشون لعدم أخذ الاوربيين بهذا الدين وعدم اعتناقهم له زرافات ووحدانا ..

والواقع أن العوامل التى تمنع الاوربيين من اعتناق الاسلام كثيرة قوية ، ومن المؤسف أن بعض هذه العوامل يرجع الى المسلمين أنفسهم .. ولنتحدث أولا عن العوامل الخارجية عن الاسلام والمسلمين ..

١ ـ وأول هذه العوامل هى الكنيسة :

لقد أتقنت الكنيسة فن النظام ، فلا ارتجال فيها ، كل شىء فيها معد مرتب منسق ، قد بحث عن روية واعد اعدادا تاما ...

وكان مما أعدته مشروعين كبيرين أحدهما : للتبشير ، والثانى : لصد الهجوم عن الديانة المسيحية ..

أما فيما يتعلق بالتبشير فانه من الاوليات عندها : أن يعرف المبعوث اليه المرسل اليهم ، ويدرس عاداتهم ، وتقاليدهم ، وديانتهم ، ومواطن الضعف فيهم والوسائل التى تجذبهم ، وأن يعلم فضلا عن ذلك بعض مبادىء الطب ويعلم قبل ذلك وبعده كيفية الهجوم على الديانة المتوطنة .. وكيفية الدعوة للديانة المسيحية ، أما المشروع الآخر وهو الذى يعنينا على الخصوص هنا ، فهو على الخصوص يتركز فى دراسة مستمرة متجددة فى أحدث الوسائل لتشويه ديانات الآخرين لدى المسيحيين أنفسهم . وقد برعوا فى نشر الاضاليل على كل دين غير المسيحية ..

وما نشر من أضاليلهم عن الاسلام لا يحصر ولا يعد انها اضاليل تنشر متتابعة متكررة ، تتردد فى صورة مختلفة ، وينتهى بها التكرار والترديد ، الى ايمان من تنشر عليهم بها ، وتبلغ بهم الصفاقة الى أن يعكسوا الحقائق عكسا تاما ، فالدين الاسلامى مثلا ، وهو دين التوحيد الخالص ، ودين التنزيه التام ، يشيعون عنه أنه دين عبادة الاوثان ..

ويكررون ذلك فى مختلف الامكنة والازمنة، وينتهى المسيحيون بالاعتقاد بأن هذا الدين انما هو : عبادة الاوثان .

وهكذا تسير الدعاية تضليلا ، وتشويها ، وعكسا للحقائق ...

ومن أهم الوسائل ايضا لتحصين المسيحية ما يسمونه نظام الحرمان من الدين المسيحى ، وهو نظام بمقتضاه يسهل على الكنيسة أن تحرم قراءة أى

كتاب ترى فيه خطرا على المسيحية سواء كان هذا الكتاب هجوما عنيفا على المسيحية ، أو دعاية بارعة للاسلام ، أو حتى نمطا ممتازا من الدعايةالقوية لسعة الافق وتحرير الفكر ٠

وقد استعملت الكنيسة هذا الحق فى شـأن كثير من الـكتب الممتازة ، واستعملت هذا الحق ايضا فى شأن كثير من الكاتبين ، وكان موقفها من كل كاتب لا يمكنها أن تستولى عليه ، بوسيلة الرغبة أو بوسيلة الرهبة ، أن تحرم قراءة كتبه ، وأن تحرمه هو من رحمة السماء ٠٠

عند الكنيسة ، اذن الرغبة والرهبة ، عندها المال ، وعندها الحرمان ٠٠

٢ ـ على أن الاسباب التى ترجع الى المسـلمين : لا تقـل خطرا عن الكنيسة ٠

ان أية دعوة مهما كانت من السمو لا يمكن أن تجتذب اليها الانصار الا اذا كان لها دعاية ، والاحزاب لا تقوم بغير الدعاية ٠٠ والبضائع لا تروج بغير دعاية وقد أخذت الدعاية فى العصر الحديث مكانا يجعلها فى الدرجة الأولى من الأهمية ٠٠٠

ويعرف ذلك المسلمون ، يعرفه تجارهم ورجال الاحزاب منهم ، ويعرفه كل مثقف ، ولكنهم لا يعملون به فيما يتعلق بنشر الاسلام !!!؟

أين دعاتنا فى الشرق أو فىالغرب؟ أين مبعوثونا ؟ أين المبشرون منا٠٠؟ لا شىء فى ذلك مطلقا ، ومن المعروف أن مبعوثى الحكومة ومبعوثى الازهر الى الاقطار الخارجية : انما بعثوا لتعليم الحسـاب والخط والامـلاء واللغـة العربية فى مدارس اسلامية ابتدائية أو اعدادية أو ثانوية ٠٠ ليس لنا فى الخارج قط مبعثون واذا كان الدين الاسلامى ينتشر فانما ينتشر بقوته الذاتية ، رغم الهجوم عليه ورغم العقبات التى تعترض طريقه ٠٠

ولنقارن ذلك كله بالارساليات التبشيرية ، ومن أمامهما ومن خلفهما المستشفيات ، والملاجىء ، والمدارس ، والمعاهد ، والمال يغدق ، والوظائف تهيأ ، ولنتصور كفتى ميزان احداهما لا شىء فيها ، وتلك هى كفةالمسلمين بالنسبة للاسلام والاخرى فيها كل شىء وتلك هى كفة المسيحيين بالنسبة للمسيحية ٠٠

وسبب ثانى تحدث عنه جمال الدين الافغـانى ، وكان يرى أنه أقوى الاسباب ، ذلك هو حالة المسلمين ٠٠٠

وكثيرا ما قال جمال الدين : ان الغربيين يستمدون فكرتهم عن الاسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين ، فانهم يرون المسلمين متخاذلين ضعفاء أذلاء مستكينين ، فرقت بينهم الاهواء والشهوات ، وقعـدت بهم الصغائر ، وانصرفوا عن عظائم الامور ، واصبحوا مستعبدين مستذلين ، ولو كان الاسلام دينا قويا لما كان المسلمون هكذا ٠٠٠

ينظر الغربيون الى المسلمين فى العصر الحـاضر ، وينسـون شيئين ، ينسون ان المسلمين فى العصر الحاضر غير مستمسكين بالاسلام ، وتكاد

الصلة التى بينهم وبينـــه تكون مجرد صلة اسمية ، وينسون عظمـــة المسلمين وقوتهم أيام أن كانوا مستمسـكين بالاســـلام وأيام أن كانت الدنيا لهم ..

ولعل المسلمين يعودون الى دينهم صافيا نقيا، ويستمسكون به فيكونون مرآة حقيقية يتمثل فيها الاسلام قويا ساميا .

وآداب الاسلام حقيقة كفيلة بأن تجعل من المسلم رجلا قويا مهذبا كريم النفس ، ولكن المسلمين ابتعدوا كل البعد عن الاسلام ..

ولنتخذ مثلا بسيطا ، مسألة النظافة .. لقد دعا الاسلام الى النظافة دعوة لم يدعها دين من الاديان ولم يدعها مذهب من المـذاهب قديمـا أو حديثا ، ولكن اذا نظرنا الى الاقاليم الاسلامية أو الى الاحياء الاسلاميـة ، وقارناها بالاقاليم ، أو الاحياء الاخرى نجد الفرق واضحا ، سواء كنا فى مصر ، أو فى تونس ، أو فى مراكش ، أو فى غير ذلك من البلدان ونأخذ مسألة أهم من ذلك ، مسألة اتحاد الامم الاسلامية ..

فقد دعا اليها الاسلام فى صور لا حصر لها ، وبأساليب لا حدلتنوعها، ممهدا متوعدا تارة ، مرغبا محببا تارة أخرى ، متحدثا عن الثمرات المعنوية والادبية والاخروية ، ومتحدثا عن الثمرات المادية والدينوية للاتحاد ،ومع ذلك فقد كان كل ذلك صرخة فى واد ، وكأن المسلمين عن الاتحاد صم بكم عمى فهم لا يعقلون .

وخذ آداب الاسلام واحدا فواحدا ، وانظر الى حال المسلمين .. هـل تجد توافقا ، وانسجاما بين المسلمين والاسلام ؟

يقول جمال الدين : اذا اردنا أن ندعو للاسلام ، فليكن أول ما نبدأ به أن نبرهن للغربيين أننا لسنا مسلمين ، وسبب ثالث لعدم انتشار الاسلام آت من المسلمين انفسهم أيضا ، وذلك هو : عرض الاسلام وكتب المسلمين أنفسهم ...

منذ سنوات جاء أحد الامريكان ليمكث فى مصر فترة من الزمن يتعلم فيها الاسلام ، واتصل بالهيئات التى تمثل الاسلام ، فبلغت الحيرة منتهاها حينما أرادت هذه الهيئات اختيار كتاب يتعلم من خلاله الاسلام ..

ومن الطبيعى أن يتجه الذهن الى كتب علم الكلام ، فهى كتب الدفاع عن العقيدة .. ولكن اذا نظرنا فى كتب علم الكلام نجد أنها جدال لا ينتهى بين الذين يبحثون فيه : بالزيغ ، وابتغاء الفتنة ، والجدال فيها يبدأ ويعاد ولا ينتهى ...

ثم هى تصور ، على الخصوص ، المستوى الثقافى للعصور الوسطى ، ولا تمت بصلة الى الابحاث الحديثة ، ومن الطبيعى أن تكون كذلك ، لانهـا ألفت فى العصور الماضية ، وما ألف منها حديثا : ألف على نمطها اتباعـا للآباء والاجداد .. وبغضا للخروج عن المألوف ..

واذا لم نأخذ الدين من كتب علم الكلام فهل نأخذه من كتب التفسير؟!
لقد انتهى تفسير القرآن الى أن اصبح مسرحا يتبارى فيه النحويون واللغويون وبلاغيو العصور المتأخرة وغشت هذه النواحى على الهداية والارشاد .. فلا يكاد يتنسم القارىء لها من خلال نحوها وصرفها شيئا مما انزل الكتاب من أجله .. أى الهداية للاقوام !!
واذا كانت كتب الكلام قد استفاضت فى الحديث عن القدر ، مع نهى رسول صلى الله عليه وسلم نهيا صريحا عن الحديث فيه ، واذا كانت قد استفاضت فى الحديث عن صلة الذات الالهية بالصفات اذ أنه محاولة لاكتناه الذات الالهية التى نهينا عن التفكير فيها ، وامرنا بالتفكير فى آثارها واذا كانت كتب الكلام قد تعرضت لذلك دون جدوى ولا ثمرة فان كتب التفسير أيضا قد تعرضت لهذه المشاكل نفسها دون جدوى ولا ثمرة .
ومما لا شك فيه أن اكتناه سر الالوهية من حيث الذات ، أو من حيث القدر ، من المتشابه الذى نهينا عن الخوض فيه ..
ولكن اكتناه سر الالوهية من الامور التى تتطلع اليها نفوس طائفة من الناس أرادوا بعقلهم المحدد ، تعيين مالا يحد وطمعوا فى أن يحددوا بعلمهم الجزئى مالا يحيطون به علما ..
ونشاهد الاتجاه فى عهد الرسول نفسه ، وكان موقف الرسول منه حاسما ، والاحاديث كثيرة مستفيضة فى النهى عن الخوض فى الذات أو فى القدر ، ومما يروى فى ذلك : الامر المتكرر المتنوع بالتفكير فى الخلق دون ذات الخالق ، حتى لا نهلك ..
وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال :
« خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نتنازع فى القدر ، فغضب ، حتى احمر وجهه ، ثم قال : أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم؟!! انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الامر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا » .
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، قال :
خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم وهم يتراجعون فى القدر ، فخرج مغضبا ، حتى وقف عليهم فقال : يا قوم ، بهذا ضلت الامم قبلكم : باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضا ، ما عرفتم منه فاعملوا به . وما تشابه فآمنوا به ..
وبعض الاحاديث تذكر : « فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله .. ثم انتهرنا .. أو فغضب حتى لكأنما فقىء فى وجهه حب الرمان » ..
وكان من الممكن لو استقامت عقول الناس ، ونزعت من قلوبهم الاهواء والشهوات أن يكتفى بنهى القرآن ، وبنهى الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن الذين فى قلوبهم زيغ موجودون فى العالم فى كل آونة وحين ، وفى كل بيئة ومكان .

فقد أطلت الفتنة فى عهـــد عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ممثلة فى صبيغ الذى كان يتكلم فى القدر ، فأخذ عمر يضربه بعراجين النخل على رأسه حتى تاب ، فتركه بعد أن دمى رأسه وقال : حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ، يريد بذلك أنه قد تاب ، وأن نزغاته قد بددتها عراجين النخل وذهب مع الدم الذى سال من رأسه ...

وسأله سائل عن آيتين متشابهتين ، فعلاه بالدره ...

يقول الامام ابن قتيبة فى شرح مختلف الحديث :

« ... وقد تدبرت مقالة أهل الكلام ، فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون الناس بالقذى فى عيـــون الناس وعيونهم تطرف على الاجذاع ، ويتهمون غيرهم فى النقل ولا يتهمون آراءهم بالتأويل ، ومعانى الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة ، وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة ، والتولد ، والعرض ، والجوهر ، والكيفية، والابنية .. ولو ردوا المشكل منهما الى أهل العلم لوضح لهم المنهج ،واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرئاسة ..

ان عرضنا للدين الاسلامى على هـــذا النمط من العرض ، جعـــل كتبنا لا يتيسر فهمها للاجانب عنا ، ولو لم يكن فى الاسلام تلك القوة الذاتية التى تستولى على القلوب وتغمر الافئدة لضاق بهذه الكتب المسلمون أنفسهم .

الاسلام اذن بحاجة الى عرضه عرضا ســـهلا ميسرا قويا ، وبأساليب متنوعة وصور مختلفة حتى نتلافى هذا التقصير ..

ومع كل هذا .. هل منعت هذه العوامل من انتشار الاسلام وذيوعه ؟ ذلك موضوع آخر

وبالله التوفيق

عبد الحليم محمود

* * *

المجلة :

تناول هذا المقال القيم موضوعا خطيرا فقد تحدث فيه الدكتور عبدالحليم عن العوامل الداخلية والخارجية التى وقفت حائلا بين الاســـــلام . وبين انتشاره انتشارا عالميا . مع انه أنزل للناس كافة . وجاء رحمة للعالمين .

والمجلة : يسرها أن تفسح صدرها للاقلام القادرة على تجلية هذا الموضوع الخطير .

العناصر الأولية
للتصوف الإسلامي

بقلم الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

يرجع التصوف الاسلامى الى عهد النبى (ص) فهو أول صوفى فى الاسلام ، اذ أن اعتزاله فى غار حراء قبل البعثة ،واعتكافه فى المسجد بعدها لايجهله أحد من المسلمين ولا من المستشرقين الذين عنوا بدراسة الحركة الاسلامية. وقد ترسم كثير من الصحابة الاولين خطاه ، واسترشدوا بهداه فتنسك منهم أبو ذر وصهيب ، وحذيفة ، وأبو الدرداء وأبو هريرة ، وعمران الخزاعى وغيرهم . وكانوا أول الامر يدعون بالزهاد أو العباد أو النساك أو البكائين أو الوعاظ ولم ينكر عليهم هذا المسلك أحد، لاصاحب الشريعة ولا اصحابه ، بل أقروهم على خطهم ، وفضلوهم على المستمتعين المتلذذين ، واعترف لهم كثير من الصحابة بكرامات ومعارف لاتتاح لكافة المسلمين .

على انه كيف يستطيع مؤمن ايمانا صحيحا الاعتراض عليهم ، وقد انتهلوا جميع العناصر الاولية لتنسكهم هذا من الكتاب الكريم والاحاديث القدسية والنبوية والسنة الغراء ، فاغترفوا من هذه المنابع السامية أصول الايمان ومبادىء التقوى وعناصر الذكر والفكر ، وقواعد التطهر الباطنى، وقوانين السلوك العلمى عندما تأملوا فى مثل الآيات والاحاديث الآتية : « **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون** » أول سورة المؤمنين « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم** » (سورة التوبة ، آية ٧٠) « **لن ينال الله لحومها ولادماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم** » (سورة الحج ، آية ٣٦) « **الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الامور** » (سورة الحج آية ٤٠) « **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نارجهنم، والله لايهدى القوم الظالمين** » (سورة التوبة ، آية ١٠٨) « **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتيكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون** » (سورة البقرة ، آية ٣٧) « **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون** » (سورة النور ، آية ٥١) « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم .ومن**

أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم • وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (سورة فصلت ، آية ، ٢٩ وما بعدها) « **فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** » (سورة النساء ، آية ١٠٣) وقد علق ابن عباس رضى الله عنه على هذه الآية الأخيرة بقوله : أى بالليل والنهار ، وفى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والسر والعلانية « **واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفيـــة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين** » (سورة الأعراف ، آية ٢٠٥) الى غير ذلك

ومن الأحاديث القدسية قوله جل شأنه

« وما تقرب الى عبدى بأحب الى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبـــدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى فى شىء لأعطيته » وقوله : « اذا تقرب منى عبدى شـــبرا ، تقربت منه ذراعا ، واذا تقرب منى ذراعا ، تقربت منه باعا • »

ومن الاحاديث النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : ذكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى سط الهشيم » أو « ذكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين » وقوله : « يقول الله أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى »

بان اذن مما تقدم ان المسلمين الأولين قد طفقوا منذ فجر الاســـلام ، يتأملون فى المثل القرآنية العليا ليتخذوا منها نبراسا يضيئون به أعمـــاق قلوبهم ليستكشفوا فى دخائلها عناصر الأحوال الروحية التى شاهدوها ممثلة فى نبيهم بعد أن ظفرت بالرضى الالهى العميم • ولقد ركزوا جهودهم الشخصية فى هذا التأمل حتى بلغ عندهم من العمق حدا لم تظفر بمثله كافة المسلمين • وهذا هو الذى سماه حسن البصرى فيما بعد : « علم القلوب والخواطر »

غير أن هذا المجهود الذى بذله أتقياء المؤمنين فى كشف سر هذه الحياة النبوية العملاقية لم ينجح كل النجاح ، بل ظلت هذه الناحية من نواحى الوجود البشرى ، وهى حياة ذلك النبى الأمجد ، سرا غامضا لم يكشف للناس منه الاجانب محدود • وهذا هو ماأتى بالمفارقات التى نشبت معاركها بين فرق المسلمين حول هذه الغصون المتفرعة المتشبعة من دوحة حياة ذلك النبى الأعظم • ولا ريب أن تباين التأملات الصوفية فى الحياة المحمـــدية الباطنية وسلوك الطرق المختلفة فى هذا ، واتضاح جانب معين منها أمام كل فريق من أولئك الأتقياء ، وتتابع الكشوف المتوالية لبعض جوانب هذه الحياة الباهرة ، كل ذلك يدل دلالة قاطعة على أنها لاتزال أحد أسرار الكون وخفايا الوجود •

ومن هذا يتضح أن السنة المحمدية عند هؤلاء الأتقيـــاء ، ليست هى الاحاطة بالأوامر الظاهريةوالافعال الخارجية واتباعها فحسب، ولكنها أيضا تطبيق أصول الفضائل الاخلاقية الباطنية « كالرضى بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والصبر على حكم الله أو الرضى بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره » « **ان الله مع الصابرين** » « **الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون** »

« **وكل أمـــر بقضـــاء وقدر وكل مقدور فمـا عنـه مفر** »
« **فكن له مسلما كى تسلمـــا واتبع سبيل الناسكين العلما** »

وعند هؤلاء المتحمسين ان تطبيق تلك الفضائل الخلقية الذى هو اعداد لمرتبة الفيض الالهى ، لايلبث أن ينمو ويتخذ مظهر قاعدة للحياة محـددة مترابطة معتـــدلة ومنهجية وعملية فى الوقت ذاته ، وهى التى تخلق من الخضوع الباطنى لقانون الاوامر السماوية ، طريق الطهر الخارجى ، وتجعل من الممكن اتصال الروح البشرية بربها .

الى جانب هذه العقيدة العظيمة التى اقتادت أولئك الأتقياء المخلصـــين الى التصوف ، كان هناك سبب قوى آخر دفعهم دفعا الى أن يقذفوا بأنفسهم فى بحر هذا السلوك المأمون الجانب ، وهو أنه لما اشـــتعل لهيب الفتنـــة السياسية الكبرى بين المسلمين فى أواخر حكم عثمان بن عفان ، ففرقت صفوفهم ، وشتت جموعهم ، فكر فريق من المؤمنين المتعددين الذين ليس لهم أهواء خاصة ، ولا أغراض شخصية ، وتدبروا فى مشاهدة العواصف العاتية ونتائجهـــا المحزنة بل المقلقـــة ، ونظروا فى قول الله جل جلاله « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذكنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** » ثم نظروا فى قول النبى الكريم : « اذا التقى المؤمنـــان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار » .

تأمل أولئك المؤمنون المخلصون فى هذا كله ، ورأوا الكارثة التى تسرع نحو الأمة الاسلامية بخطوات واسعة ، فلم يجدوا الا الله موئلا يلتجئون اليه فى وسط هذه المعمعمة الضالة ، وبين براثن تلك الفوضى الشـــاملة والفتنة العمياء التى لاتحمل العقول والقلوب الا البلبلة والاضـــطراب ، والتفتوا يمنة ويسرة باحثين عن أثر للرابطة المقدسة التى كانت الى الأمس القريب تصل بينهم فى قوة ومتانة ، فلم يجدوا الا القرآن الكريم الذى كان هو البقية الباقية المحفوظة من عبث الأهواء « **انا نحن نزلنا الذكر وأناله لحافظون** » فانكبوا عليه متأملين متدبرين ، فالقوا فيه لحسن الحظ جميـــع العناصر الضرورية لقواعد الحياة الصالحة التى تســـمح لكل مؤمن مخلص بأن يتلقى الالهام الالهى فى قلبه ، وهذا هو مبدأ طريق التصـــوف « ومن سار على الدرب وصل » فلم يسعهم الا أن يهرولوا فى هذا الطريق المأمون

العاقبة فرارا من تلك الفتن الصاخبة التى تقذف بها أمواج خضم السياسة المضطربة المهتاج . وبهذا كان التصوف فى ذلك العصر هو المفـــازة التى التجأت اليها قلوب المؤمنين لتتحصن بحصنها المنيع ضد تلك الهلكة المحققة

ومن هذا يبدو جليا أن أرومة التصوف الأولى ، بل رموزه ومجـــازاته واستعاراته وعباراته الفنية ، لم تكن دخيلة على الاسلام من الملل والنحـــل الاجنبية كما زعم بعض السطحيين الذين قلدوا الفقهـــاء الاقدمين الذين حملوا على بعض أعلام الصوفية الأجلاء حملتهم الجائرة حين هالتهم جرأة فريق من المنتسبين الى تلك الطائفة ، وروعهم افتئـــات ذلك الفريق على الشريعة السمحة ، فرموه بالخروج على دين الله والمروق عن طاعته ، بـــل بالزندقة والكفر والتـــذليل لأهل الأديان الأخرى ، فلما رأى بعض المستشرقين هذه الفتن المشتعلة ، وتلك التهم الخارجة على حد الاعتـــدال ، اعتقدوا ان التصوف ليس من الاسلام فى شىء ، وما هم فى ذلك الا واهمون . وعندما رأى بعض المعاصرين من المسلمين هذه الآراء الخاطئة ، اعتنقوها على علاتها رغم بعدها عن الحق بعد العدم عن الوجود . ومن أمثلة ذلك ماسجله المغفور له الدكتور زكى مبارك فى كتاب «الاخلاق عنـــد الغزالى» اذ قال ما نصه : « وهذا التصوف الذى يترسم الغزالى آثار اصـــحابه ليس فى جملته مما تدعو اليه الشريعة الاسلامية ، وانما هو مزيج من عدة مذاهب هندية وفارسية ، ويونانية ، نقلت الى المسلمين وصادفت هوى فى نفوس الزاهدين منهم ، فوسموها باسم الدين ، ووضعوا لها على حسابه القواعد والاصول ونحن نحسب اننـــا ـ بعد الذى قدمناه ـ لسنا فى حاجـــة الى التدليل على بطلان هذا الرأى ومعرفة مصدره ومأتاه .

ومهما يكن من الامر فقد اهتدى كثير من المؤرخين القدماء ، والبـــاحثين الحديثين فى هذا الصدد ، الى الحق القويم ، فأنزلوا أماجد الصوفية منازلهم الحقيقية ، وأسهبوا فى العناية بحياتهم وشخصياتهم ، واطنبوا فى تفاصيل مذاهبهم وطرائقهم ، وتوسعوا فى الاشادة باحوالهم ومقاماتهم ، وأفاضوا فى ذكر معارفهم وكراماتهم ، ثم أيدوا كل ذلك بارجاعه الى الآيات والأحاديث وأنباء السلف من الصحابة والتابعين .

وأكثر من ذلك ان أدقاء المستشرقين الحديثين قد آمنوا بأن كنف التصوف وثيق ، وحصنه مكين ، وطريقه مأمون العاقبة ، والالتجـــاء اليه باخلاص مضمون الثمرة ، محقق النتيجة ، وسجلوا فى مؤلفاتهم ان أعلام الصوفية الذين فروا بدينهم عن ضوضاء الفتنة الى احضان التنسك والتأمل انما فروا من الدنس الى النقـــاء ، وألقوا بأنفسهم فى بحار النور واســـتجابوا من قدر الله بلطف الله ، ولم يزيدوا فى ذلك على أنهم انما كانوا مؤتمرين أمر الله الوارد فى كتاب الله ومترسمين خطى رسول الله الذى لاينطق عن الهوى ، والذى ماكانت أحواله الباطنية وأفعاله الظاهرية الا وحيا يوحى اليـــه من مولاه فينفذه على أكمل صور العبودية ، وفى اسمى مراتب المعارف اللدينية « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

صفحات ونفحات

من الاحاديث الروحية النبوية

بقلم

الدكتور محمد مصطفى حلمى

أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب جامعة القاهرة

وقفت بك فى المقالات الثلاث السابقة من هذه الصفحات والنفحات عند أطراف من أولى تلك الصفحات ، وهى صفحة الحياة الروحية المحمدية ، وبينت لك من خلال تلك المقالات الى أى حد وعلى أى وجه كانت الحيـــاة الروحية المحمدية بما تألفت منه من عناصر نفسية وخلقية ، وبما خضعت له من قواعد السلوك ومبادىء العمل ، وما فاضت به من اشراقات قلبية ونفحات روحية ، منبعا لما عرف بعد ذلك باسم التصوف الاسلامى ، ولما دعا اليه الصوفية من أخذ النفس بالرياضيات والمجاهدات ، وما تحققـــوا به من الأذواق والمشاهدات . وقد يرى البعض أن فى رد التصوف وأصوله العملية والروحية الى مصدره فى الحياة الروحية المحمدية على هذا الوجه ، شيئا من الاسراف أو المبالغة ، مما يجعل من نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام صوفيا عاكفا على نفسه ، وزاهدا معتكفا عن النـــاس ، والواقع أنه لم يكن كذلك ، وانما هو على العكس من ذلك أقبل ما يكون على الحياة العامة ، وأفعل ما يكون فيها ، تدبيرا لشئون المعاش ، وتبصيرا بشئون المعاد ، واقامـــة للحياة الانسانية على دعائم قوية من العلم الحق والعمل الصالح ، بحيث تتحقق للمسلمين السعادة فى حياتهم الدنيا ، وحسن العقبى فى حياتهم الأخرى .

ولكى يتبين وجه الحق واضحا جليا بحيث يتبين معه أن لا اسراف ولا مبالغة ، فقد رأيت أن أقف معك فى هذا المقال عند بعض الصفحات والنفحات المستمدة من الاحاديث الروحية النبوية التى هى أدل الدلائل وأصدقها على أن الحياة الروحية المحمدية قد اشتملت مذ طلع على العالمين فجرها ، وملأ أرجاء الكون نورها ، على وسائل التأديب والتهذيب ، وقواعد الترغيب والترهيب ، وأدوات التصفية والتنقيه ، وآلات التخلية والتحلية ، وما الى هذا كله من سائر آداب السالكين ، وأذواق العارفين ، ومواجيد الواجدين ، كما رأيت أن أؤيد هذه الأحاديث الروحية النبوية بما يناسبها من الآيات

القرآنية الكريمة التى ان دلت على شىء فانما تدل على أن كتاب الله وما يؤيده من سنة رسوله هما أصدق المراجع ، وأصفى المنابع ، التى ينبغى أن يستقى منها ويرد اليها كل ما حققه نبى الاسلام فى حياته الروحية ، وما حققه معه الصحابة ، وما حققه من بعدهم التابعون ، ومن جاء بعد أولئك وهؤلاء من الزهاد والعباد والصوفية ، من مثل عليا تحققوا فيها بكمال العلم وكمال العمل ، وكانت سبيلهم جميعا الى الظفر بالسعادة القصوى ، والبهجة العظمى .

والصوفية فيما أقاموا من أسس العلم وقواعد العمل ، قد اتفقوا على أنه لا بد لمن أراد سلوك طريقهم من أن تختلف نفسه على مقامات ، وأن تختلف على نفسه أحوال ، وأن يظل على هذه الحال ، من تعاقب المقامات والأحوال ، حتى يصل فى النهاية الى المقام الأسمى وهو مقام التوحيد والعرفان ، والى الحال الأسنى وهو حال البقاء بعد الفناء ، ومن هنا كان أخص ما تتسم به علوم الصوفية أنها علوم أحوال ، وأن هذه الأحوال انما هى عندهم مواهب يمنحها الله ويوردها على قلوب عباده الصالحين ، كما أن المقامات مكاسب من جانب العبد ، وثمرات لما يبذله من جهد ، ومن هنا أيضا كانت المقامات قواما للحياة الخلقية العملية ، كما كانت الأحوال قواما للحياة النفسية الذوقية .

على أن الصوفية ، وان كانوا متفقين على هذا ، الا أنهم قد اختلفوا فى عدة المقامات والأحوال ، وفى أن ما يعده بعضهم من المقامات قد يعده بعضهم الآخر من الأحوال : فالطوسى فى كتابه « **اللمع فى التصوف** » ، قد جعل المقامات سبعة ، وجعل كلا منها ثمرة للمقام الذى يتقدمه ، فهى عنده عبارة عن التوبة فالورع فالزهد فالفقر فالصبر فالتوكل فالرضا . وأبو طالب المكى فى كتابه (**قوت القلوب**) قد جعل المقامات تسعة هى عنده التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا والمحبة . والسهروردى البغدادى فى كتابه (**عوارف المعارف**) قد جعل من الايمان والتوبة والزهد ودوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا ، أمورا أربعة يجب أن يتحقق بها أولا كل من سلك طريق الله عز وجل على الوجه الأكمل ، ورأى أن تمام التحقق بهذه الأربعة انما يستعان عليه بأربعة أخرى هى : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، والاعتزال عن الناس ، وأن من ظفر بهذا كله فقد استقامت له الأحوال ، وصحت له المقامات . على أن التوبة والزهد وهما ها هنا مما يعده السهروردى من أوليات السلوك فى طريق الصوفية ، قد عدهما بعد ذلك من بين المقامات التى هى عنده عشرة ترتب على الوجه التالى : التوبة والورع والزهد والصبر والفقر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والرضا . ومهما يكن من شىء فان الذى لا شك فيه ، ولا

خلاف عليه ، هو أن التوبة عند من ذكرنا من المؤلفين الصوفيين وعند غيرهم هى أول المقامات وأصلها ، بمعنى أن من لا توبة له فلا مقام ولا حال له ، وأن التوبة اذا صحت فقد آشتملت على مقامات وأحوال هى سبيل العبد الى تصفية قلبه ، وقربه من ربه ٠

والذى يعنينا من هذا كله هو أن نلاحظ أن المقامات التى يصنفها ويرتبها ويفيض فى تحليلها وتفصيلها من الناحيتين النفسية والخلقية ، المؤلفون الصوفيون فيما خلفوا من مصنفات ، والتى أخذ الصوفية المتحققون أنفسهم وأنفس مريديهم بها فيما عكفوا عليه من مجاهدا ت، ليست فى حقيقتها الا صورا متعاقبة ، وتعبيرات متجددة ، وتفسيرات متنوعة ، لما اشتملت عليه الأحاديث النبوية الشريفة ، والآيات القرآنية الكريمة ، من المعانى الروحية السامية التى انطوت عليها ، ودعت اليها ، هذه الآيات وتلك الأحاديث : فاذا وقفنا عند التوبة مثلا ، ألفينا طائفة صالحة من الآيات والأحاديث هى أحفل ما تكون بها ، وأدعى ما تكون اليها ٠ وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » ، وقوله : « يا أيهـــا الناس توبوا الى الله واستغفروه ، فانى أتوب فى اليوم مائة مرة » ، وقوله : « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة » ٠ وحسبنا أيضا أن نؤيد ما ورد فى هذا المقام على لسان رسول الله بما ورد فى كتاب الله من قوله عز وجل : **(وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)** ، وقوله : « **استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** » ، وقوله : « **يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا** » ٠

واذا تركنا التوبة الى الزهد وجدنا فيه أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم : « أزهد فى الدنيا يحبك الله ، وأزهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » ، وقوله : « اذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين ، وزهده فى الدنيا ، وبصره بعيوبه » ، وقوله : « اذا رأيتم من يزهد فى الدنيا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة » ٠ وليس أدل على استصغار قيمة الحياة الدنيا ، واحتقار شأنها ، ولا أعون على الزهد فيها ، والانصراف عن متاعها وغرورها، والاقبال على ما هو خير منها وأبقى ، من قوله تعالى : « انمـا مثل الحيـــاة **الدنيا كماء أنزلناه من السما فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** » ، وقوله : « **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبـات الأرض فأصبح هشيما**

تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا » ، وقوله : « **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »** .

وكذلك الصبر والشكر والتوكل والرضا وغيرها مما جعل منه الصوفية منازل لهم فى طريقهم الى الله ، نجد لكل منها مصدرا نبويا ومؤيدا قرآنيا ووجها أو أكثر من وجه فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى حياة أصحابه رضى الله عنهم ، من شأنه أن يجعله خليقا بأن يكون مقاما من المقامات التى تستوعب نفوس الصوفية حتى تصفو وتسمو ، وتصبح أهلا لأن تتخلق جوارحها بأرقى الأخلاق ، وتتذوق بواطنها أنقى أنوار الاشراق .

ففى الصبر نجد من الأحاديث النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم : « .. الصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك .. » وقوله : « .. من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » ، وقوله : « عجبا لأمر المؤمن ! ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » . ونجد من الآيات القرآنية الكريمة قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا »** ، وقوله : « **وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا »** ، وقوله : « **انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »** ، وقوله : « **ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور »** .

وفى الشكر نجد ما روى عن عائشة رضى الله عنها من أنها قالت : « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا ! ، ونجد قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعلنى شكورا ، واجعلنى صبورا ، واجعلنى فى عينى صغيرا ، وفى أعين الناس كبيرا » . ونجد من آيات القرآن الكريم قوله تعالى : « **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد »** ، وقوله : « **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »** ، وقوله : « **ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين»** وقوله : « **ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين »** .

وفى التوكل نجد قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت » . ونجد قوله تعالى: « **وتوكل على الحى الذى لا يموت** » ، وقوله : « **فاذا عزمت فتوكل على الله** »، وقوله : « **ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » .

فاذا أضفنا الى كل ما تقدم من آياتوأحاديث ، ما خاطب به اللهعز وجل رسوله فى قوله : « **يا أيها المزمل ، قم الليل الا قليلا ، نصفه أو أنقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ، ان لك فى النهار سبحا طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا** » ، وأضفنا اليه ما عرفناه من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وحياته الروحية التى وقفنا عند بعض صفحاتهـــا ونفحاتها ، من أنه كان يقوم الليل حتى تنفطر قدماه وأنه كان يعكف فى بعض أيامه ولياليه على نفسه ويعتكف عن الناس الى الله ، ولاءمنا بين هذا كله وبين ما أخذ به الزهاد والعباد والصوفية المسلمون أنفسهم من طرق فى الرياضة والمجاهدة ، ووازنا بين حياة هؤلاء الزهاد والعباد الصوفة بين حياة النبى صلى الله عليه سلم فى ظل النفحات الاشراقات التىتنبثق من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، أقول اذا فعلنا هذا كله ، وجردنا أنفسنا وقلوبنا وعقولنا من شوائب الهوى والغرض ، ونوازع التعصب والتعسف ، انتهينا الى الصفحة الأولى من كتاب الحياة الروحية الاسلامية انما هى صفحة الحياة الروحية المحمدية ، وأن النفحة الالهية الأولى التى فاضت منها النفحات الروحية الأخرى فى تاريخ الاسلام ، انما هى هـــذه النفحة النبوية المستمدة من تلك الصفحة التى خطت سطورها النورانيـــة الأولى يد محمد عليه الصلاة والسلام .

محمد مصطفى حلمى

* * *

الدين هو العلاج الأول للبشرية

(أثر التدين)

للدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق

اذا عرفنا الفارق الضخم الكبير بين اعتقـــاد دين معين وبين التدين به فعلا والعمل بكل ما جاء به ، والنزول على أحكامه فى كل نأتى ونذر من الاقوال والاعمال ، فان أثر التدين هذا يكون كبيرا وخطيرا بلا ريب .

وذلك بأن الدين الحق يأمر بالخير والمعروف ، وينهى عن الشر والمنكر ، ويحث على الفضائل وينهى عن الرذائل ، ومن ثم ، يكون أتباعه والعمل به طريقا موصلا للعز والمجد فى الدنيا ، وللسعادة الحقيقية التى لا شقاء معها فى الدار الاخرى .

وان تاريخ الامم قبل الاسلام ، بل وتاريخ المسلمين انفسهم فى ماضيهم وحاضرهم ، شاهد صدق على ما نقول . فليس على من يخالجه ريب فى هذا ، الا أن يرجع الى التاريخ يستفسره ويستهديه ، وحينئذ يرى أن هذا الذى نقول قضية لاشك فى صدقها .

لقد أنزل الله تعالى التوراة على سيدنا موسى عليه السلام فكانت هدى ونورا ، ثم توالى من بعده الرسل فكان كل منهم كالمصباح يضىء لمن حوله السبيل ، ثم جاء سيدنا عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه من التوراة ورسالات الرسل السابقين ، ثم ما لبث الناس حتى أخذوا ينحرفون عن الدين الحق شيئا فشيئا فأخذت الانسانية تنحدر عن الطريق المستقيم .

وما جاء القرن السادس والسابع لميلاد المسيح عليه السلام حتى بلغت البشرية من الانحدار أنه ما كان على وجه الارض قوة تمسك بها وتمنعها من التردى الى الهاوية ، اذ كانت الايام تزيدها سرعة فى هبوطها ، وشـــدة فى انحطاطها واسفافها .

وكان الانسان ـ كما يقول الاستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى فى كتابه : ماذا فسر العالم بانحطاط المسلمين ـ فى هذا الزمن قد نسى خالقه ، فنسى مصيره ، وفقد رشده وقوة التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح .

وذلك ، بأن الناس قد انصرفوا عن التدين بما كان عندهم من الدين الحق ، واكتفوا من الدين بالاسم والصورة دون اتباعه والعمل به . كما كانت دعوة الرسل والانبياء قد خفتت منذ زمن ، وكانت المصابيح التى أوقدوها لتنير للناس الطريق قد انطفأت من العواصف التى هبت بعدهم ، أو بقيت ولكن نورها أصبح ضعيفا لا ينير الا بعض القلوب ، فضلا عن بعض البيوت ، فضلا عن بعض البلاد .

وقد كان لهذا نتيجة أو نتائج طبيعية يعرفها التاريخ ، ولا نزال نرى بعض آثارها ، فقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة العملية ، ولاذوا بالاديرة والكنائس والخلوات ، فرارا بدينهم من الفتن ، وضنا بأنفسهم وجهودهم أن تذهب سدى بلا سميع أو مستجيب ، أو رغبة فى الدعة والسكون .

وهكذا ، تركوا تكاليف الحياة ومشاغلها وجدها ، بعد ان يئسوا من كفاح السياسة الغاشمة والمادة المستعلية والقوى الطاغية . ومن بقى منهم فى تيار الحياة وميادينها ، نراهم يسايرون أهل الدنيا ويشايعون الامراء والملوك ، ويعاونونهم على اثمهم وعدوانهم ، وعلى استذلال الضعفاء وأكل أموال الناس بالباطل ، وذلك بسبب أن رجال الدين أنفسهم نسوا الدين ، ولم يبقوا على التدين به والسير على تعاليمه ، ولم يعودوا يستمسكون بأوامره وارشاداته وأخلاقه .

وكان من هذا وذاك كله ، ان أصبحت الديانات الكبرى التى سبقت الاسلام فريسة العابثين والمتلاعبين بالدين نفسه ، وكعبة المحترفين المنافقين المتزلفين للامراء والملوك ، حتى فقدت هذه الديانات روحها التى تقوم بها ، فلو بعث أصحابها الاولون لما عرفوها !

وأصبحت الحضارة فى ذلكم الزمن وقد انحلت أخلاقها ، وساء نظامها ، فصارت لا تحمل للعالم رسالة ولا للامم دعوة ، ولا تملك تشرعا صافيا من الدين السماوى ، ولا نظاما عادلا ثابتا للحكم البشرى . وصار الاكاسرة والقياصرة والامبراطرة أشبه بالآلهة،حتى فرض بعضهم عبادته على الشعوب بجانب عبادة الله العلى الاعلى !

وقصارى القول ، نرى أن العالم فى ذلك التاريخ قد ظهر فيه الفساد فى البر والبحر ، فلم يكن هناك دين صحيح يهدى الى الحق والى الطريق المستقيم ، ولا أمة صالحة للحياة الطيبة ، ولا مجتمع يقوم على اسس متينة من الاخلاق والمبادىء والفضائل ، ولا حكومة تحكم بالعدل وتعمل على خير الشعوب ، ولا شعب يعرف حقه فيطلبه وواجبه فيقوم به .

على أنه كان هناك فى بعض البلاد نور يتراءى حينا هنا وحينا هناك ، ولكنه كان نورا أضعف من أن يضىء الطريق الوعر المظلم أمام السالكين ، فضلا عن أن يعم الامم والشعوب . ولعل ما يمثل هذه الحالة أصدق تمثيل ، ويقربها الى القلوب والعقول ، هذا الحادث الذى وعاه التاريخ ورواه لنا رواة ثقات .

والامر أنه كان هناك نفر من رواد الحق يطلبونه بكل سبيل ، ويلتمسونه هنا وهناك من البلاد المعروفة لهم حين ذاك . وكان من هؤلاء النفر « سلمان الفارسى » الذى شرق وغرب فى طلب الدين الحق ، وطاف من أجل هذا ببلاد الشام والروم يتطلب رجلا يهديه سواء السبيل ، فكان من أمره قصه هو نفسه ، ورواه عنه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

وقد انتهى به المطاف الى بلاد العرب ، ثم الى « يثرب » قبيل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسعى اليه بعد أن شرفه الله بالبعثة وهجرته الى المدينة ، ولقيه وعرف أنه الرسول الذى كان مرتقبا ، وذلك بفضل العلامات التى ذكرها له صاحبه الذى كان قد لحق به بعمورية من بلاد الروم وكان على المسيحية الحقة ، وكان أن أسلم على يديه ، واطمأن الى أنه يهدى الى من جاء بالدين الحق ليخرج العالم من الظلمات الى النور

تلك كانت حالة العالم وقد فقد الناس الدين الحق والتدين به ، فكيف رآه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جاء بخير دين ، وقدجاء بخاتم الديانات السماوية من لدن الله تعالى العليم الحكيم ، ثم ماذا عمل وقد واجه هذا العالم الفاسد المختل فى كل نواحيه

لقد بعث خاتم الانبياء والمرسلين والعالم - كما يذكر الاستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى - بناء أصيب بزلزال شديد هز هزا عنيفا من أقصاه الى أقصاه ، فاذا كل شىء فيه فى غير محله ، فمن أثاثه ومتاعه ما تكسر ، ومنه ما التوى وانعطف ، ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل مكانا آخر ، ومنه ما تكدس فصار ركاما بلا نظام

ثم أخذ ينظر الى هذا العالم بعين الانبياء ، فرأى الملوك قد اتخذوا بلاد الله دولا ، وعبيد الله خولا ، وأحبارا ورهبانا أصبحوا أربابا من دون الله ، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، وليس لهم من الدين الا اسمه ورسمه دون حقيقته وروحه

ورأى مجتمعا هو صورة مصغرة للعالم الفاسد المنحور ، كل شىء فيه فى غير محله ، قد اصبح الذئب فيه راعيا ، والخصم الجائر قاضيا ، والمجرم

سعيدا حظيا ، والصالح محروما شقيا ، لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف ولا أعرف فيه من المنكر . وذلك بأنهم انحرفوا عن الدين الحق ، وأصبحوا لا يأخذون أنفسهم بشيء من تعاليمه وشرائعه وأخلاقه

رأى انسانا قد هانت عليه انسانيته ، فأصبح يخضع لغير الله، بل لانسان مثله فهو يرجوه ويخافه من دون الله ، حتى أنه صار يسجد للحجر والتماثيل والاصنام ويتخذها أربابا من دون الله

ورأى تقاليد وعادات فاسدة تتعجل فناء البشرية ، وتسوقها الى هوة الهلاك ، رأى معاقرة الخمر الى حد الادمان ، والفجور الى حد الاستهتار ،

وتعاطى الربا الى حد الاغتصاب واستلاب الاموال ، وشهوة المال الى حد الجشع ، والقسوة والظلم وجمود القلب الى درجة وأد البنات وقتل الاولاد

رأى المواهب البشرية زائفة ، أو ضائعة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح ، فعادت وبالا على اصحابها وعلى الانسانية ، فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية ، والجود تبذيرا واسرافا ، والانفة حمية جاهلية ، والعقل أداة لابتكار الجنايات والابداع في ارضاء الشهوات

وأخيرا رأى نبي الدين الحق الجديد العالم ركاما من الافراد والشعوب والامم ، بلا رابطة تجمع بينهم ، ولا غاية تؤلف بين قلوبهم، فقد نبذوا الدين وراءهم ظهريا ، وصارت الاخلاق الفاضلة عندهم نسيا منسيا ، فهم لايتناهون عن منكر فعلوه ، ولا يتواصون بالحق فيما بينهم ، ولا قيمة عندهم الا للقوة والسلطان ، ولا مقياس للمجد الا شدة البأس ووفرة الثراء

هكذا كان العالم الذى واجهه الرسول وقد أرسله الله لاصلاحه ، وكذلك كان شأنه وقد خلا من الدين الصحيح يتدين الناس به ويسيرون على نوره وهديه ، فماذا كان أمر هذا العالم من بعد وقد أشرق عليه الدين الذى ارتضاه الله للناس جميعا ، وملك على متبعيه قلوبهم وعقولهم ، وصاروا يأخذون أنفسهم به في كل شئون الحياة ؟

موعدنا بالاجابة عن ذلك ، وبيان ما صاراليه العالم بفضل الاسلام والتدين ، الكلمة الآتية ان شاء الله تعالى

محمد يوسف موسى

ندوة الاسلام والتصوف

كرامات الاولياء
بين العلم والشعوذة

اجتمعت ندوة الاسلام والتصوف الشهرية فى مساء يوم الاربعاء الموافق ٧ من جماد الاول عام ١٣٧٨ هـ - ١٩ نوفمبر عام ١٩٥٨ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وقد حضرها من رجال الطرق الصوفية الاساتذة : حسين الجنيدى ، وابراهيم محمد ، ومحمد حسن الشعيبى ، وصديق محمد على ، وعبد الله السمان ، وسيد الجبالى .

وحضرها من أعضاء الندوة الاساتذة : السيد محمد محمود علوان ، والدكتور محمد يوسف موسى ، والدكتور محمد غلاب ، والدكتور محمد مصطفى حلمى ، والسيد ميرغنى الادريسى ، ومحمد لبيب البوهى ، ومحمد هارون الحلو ، وكامل البوهى ، ومحمد ابراهيم الجيوشى ، ومالك عثمان خضر ، وطه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، مرحبا بالسادة المجتمعين ، ثم عرض الاستاذ طه عبد الباقى سرور موضوع الندوة ، وهو :

كرامات الاولياء

● **سماحة الاستاذ السيد محمد محمود علوان**

فى افق حياتنا اليوم صيحات وآراء ، تستهدف التحلل من قواعد الدين ، والنيل من مقدساته ، وتجريح رجاله وعلمائه وأوليائه .

وبيننا قوم يتنادون بأنهم أهل فكر وعقل ، ونظر وفلسفة وانهم لهذا ، لا يؤمنون الا بما يقع تحت الحس ، وبما يثبته البحث وتؤيده التجربة .

ويتمادى هؤلاء وهؤلاء حتى رأينا منهم من ينكر معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومن يدعى ان المعجزة الوحيدة لرسولنا الكريم صلوات الله عليه . هى القرآن فحسب .

والايمان بالغيب من أصول الدين الاولى ، ومن قواعده الثابتة والايمان بقدرة الله سبحانه على خرق العادة والناموس الطبيعى جزء لا يتجزأ من الرسالة المحمدية ، والاعتقاد بأن الله جل جلاله يجرى على يد الرسول أو الولى معجزة خارقة ، أو كرامة فوق ما تعود الناس من أمور الحياة ، من الامور التى ثبتت فى الدين بالكتاب والسنة واجماع السلف الصالح .

يقول الله سبحانه وتعالى : « **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** » .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لا عيذنه »

ومن كان الله سمعه وبصره ويده ، كانت قوته فوق كل القوى ، وكان دعاؤه أقرب ما يكون الى الاجابة والى الكرامة والى خرق العادة .

وروى الامام مسلم فى صحيحة : « رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » .

وهو دليل لا يدفع على أن الله سبحانه يجيب دعاء عبده الصالح ويكرمه بقضاء طلبه ، واجابة ملتمسه

والكرامة . هى ظهور أمر خارق للعادة ، على يد رجل صالح مؤمن ، غير مدعى نبوة أو رسالة ، وهى فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وهى جائزة وواقعة عند أهل السنة بلا خلاف .

ولقد جاء القرآن الكريم والحديث الشريف بتأييدها وتوضيحها أما القرآن :

فقصة أهل الكهف ، حيث أقاموا فيه ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا نياما أحياء بلا مقومات ولا غذاء ، وليسوا بالاجماع من الأنبياء

وقصة مريم حيث حملت ولم يمسسها بشر ، ووجد الرزق عندها بلاسبب، وتساقط الرطب عليها من شجرة يابسة بلا موجب

وقصة آصف بن برخيا اذ أحضر عرش بلقيس من أفريقيا الى بيت المقدس فى طرفة عين .

وأما الحديث النبوى الشريف فيقدم الينا ألوانا شائقة ، كحديث جريج الراهب الذى كلمه الطفل الرضيع . وحديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة ، وحديث البقرة التى حمل عليها صاحبها أثقالا تنوء بها ، فالتفتت اليه وكلمته .

وهى أحاديث صحيحة رواها الشيخان البخارى ومسلم :

ولقد سبح الحصى بكف الصديق . وصاح عمر بن الخطاب وهو بالمدينة : يا سارية الجبل . فسمعه سارية وهو بنهاوند من أرض العراق .

ولقد أضاء سوط أسيد بن حضير حتى غدا كالمصباح عند خروجه من عند المصطفى عليه الصلاة والسلام فى ليلة مظلمة ٠

وكان حبيب بن عدى أسيرا عند المشركين بمكة ، فكان يرى وبيده عنب يأكله ٠ وليس بمكة منه حينئذ حبة واحدة ٠

وكان عامر بن قيس الصحابى العابد يأخذ عطاءه فى كمه فلا يجد سائلا الا أعطاه بغير عدد ثم يجىء الى بيته فيجد الدراهم كلها كاملة ٠

وكان البراء بن عارب من صحابة رسول الله اذا أقسم على الله أبره ٠

وكان سعد بن أبى وقاص اذا دعا استجاب الله لدعائه حتى كان أجلة الصحابة يحذرون غضبه ٠

تلك لمحات من كرامات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ ومع هذا يقول الامام الجليل احمد بن حنبل : وانما كانت الكرامات بعد زمن الصحابة أكثر ٠ لان قوة ايمان الصحابة لا يحتاج الى هذا ٠ ولان الزمن الاول كان كثير النور ٠ فلو حصلت لم تظهر كل الظهور ، لاضمحلالها فى أنوار النبوة ٠٠ بخلاف من بعدهم ٠٠ ألا ترى أن القنديل لا يظهر نوره بين القناديل بخلاف الظلام ٠٠ والنجوم لا يظهر لها نور مع ضوء الشمس

ولقد تعمدت ان أكثر من ذكر الكرامات التى حدثت فى زمن الرسول صلوات الله عليه لصحابته رضوان الله عليهم لانها متواترة لا سبيل الى انكارها ، أو الشك فيها ٠

والتاريخ بعد ذلك يحدثنا فى استفاضة عن كرامات الاولياء والصالحين٠ وكتب الطبقات والسير قد امتلأت بهذه الاحاديث ٠

بل اننا فى حياتنا الحاضرة رأينا بأعيننا هذه الكرامات يجريها الله سبحانه على أيدى رجال التصوف وأئمة الصالحين ٠

وسمعنا بآذاننا من الصادقين المتقين احاديث لا سبيل الى الشك فيها عن كرامات للمعاصرين من ابناء هذا الجيل ومن ابناء الجيل الذى سبقه ٠

واترك لاخواننا زمام الحديث ٠٠ ففى علمهم ومشاهداتهم بل ولعل فى حياتهم ، فيض دافق من هذا الحديث الكريم عن فضل الله الذى يؤتيه من يشاء من عباده المتقين العابدين ٠

● الدكتور محمد غلاب

ان الموضوع الذى تعرضونه علينا الليلة يبدو فى نظر كثيرين من أهل القرن العشرين الماديين الملحدين كأنه أخيلة واحلام ، أستغفر الله ، بل خرافات وأوهام ٠ وعذرهم فى ذلك واضح وهو أنهم انحبسوا برضاهم فى كهف العالم الحسى ، وأقاموا بينهم وبين النور حجابا سميكا جعل من المستحيل عليهم أن يلمحوا ما فى هذا العالم من مظاهر العناصرالروحانية المتلألئة ٠ ومع ذلك ، فان لنا موطد الامل فى أن الشرق مقر الروحانية ، ومهبط الوحى لم تغره مادية الغرب الى حد أن تحول دون شغفه بالاسرار

الخفية والاعاجيب الروحانية ، وفى مقدمتها كرامات الاولياء ولكن ليعلم المنقبون عن هذه الاسرار أنها تختفى عن كل ما يتعقبها فى صورة مادية ، ويحاول اخضاعها للمقاييس الحسية · ومن ثم فان سوء حظ الغرب المادى المفتون بعلومه الحسية ، أنه لا يعلم تلك القاعدة الهائلة التى مؤداها أن الحقيقة المجردة تختفى عمن يجحدها أو يرتاب فيها ، وانها ستظل بعيدة عن محيط أولئك العلماء الماديين الذين ·· يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون · والذين لايؤمنون بالمعجزات والكرامات ·

وأياما كان ، فاننا سنحاول هنا أن نمس هذا الموضوع الخطير مس الزهرة فنقول :

المعجزة هى أمر خارق للعادة يظهر على يدى الرسول تأييدا لرسالته ، أو هى وقائع الهية مخالفة فى مظاهرها للنواميس الطبيعية تحدث على الفور من الله اثباتا لرسالات الانبياء أمام منكريها ، وتكون بمثابة ايزان للنبى أن يصدع بما يؤمر ·

وأما الكرامة فهى كذلك أمر خارق للعادة أو للمألوف ، الا أن الفرق بينها وبين المعجزة أنها فيض الهى أو شخصى يمنحه الله للاولياء من عباده الصالحين ، لا ليثبتوا به شيئا ، وانما هو فضل ربانى خاص · ولهذا يحظر عليهم أن يذيعوه على الكافة والجماهير كما تزاع المعجزات · بل قيل انه لا يباح للاولياء اظهار الكرامات الا فى حالات السكر بالفيوض الصمدانية ، والا لاقترف الولى سيئة عظيمة ، وهى سيئة افشاء السر التى هى بالاجماع كبيرة من الكبائر ، بل ان الامام الغزالى يروى لنا فى الجزء الاول من الاحياء أن المكى يصرح فى كتابه « قوت القلوب » أن افشاء سر الربوبية كفر · ويقول احدى متتبعى المناقب : من حاول اثبات الولاية بالكرامة وكانت فيه سلبت منه · ومن حاول اثباتها ولم تكن فيه كفر ·

ومن ثم فان جميع صوفية المسلمين المتمسكين بالتقاليد الاسلامية النقية ـ وأقصد الذين لم يتأثروا فى تصوفهم بأية شائبة اجنبية ـ قد حرصوا كل الحرص على سرية الكرامات أو حصرها فى أضيق نطاق من الاصدقاء والمريدين · ومن هؤلاء ابراهيم بن أدهم ، وذو النون ، وأبو يزيد البسطامى وغيرهم · ولقد أجمع أهل السنة تقريبا على امكان الكرامات وثبوتها للأولياء ، كما أجمعوا على حظر ابدائها فى المجامع العامة · ومنشأ هذا الحظر فى نظر أولئك العلماء هو الابتعاد عن شبهة نسبة المعجزات العامة الى كائن من كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم الذى نص القرآن على أنه خاتم النبيين ، وأنبأنا هو بأنه آخر رسل رب العالمين ·

ولقد ظل هذا الرأى الذى انعقد عليه الاجماع أو كاد ، سائدا متى أثيرت قضية الحلاج فظهر من خلال ضوضائها غبار نقاش عنيف حول هذه المشكلة

مأتاه أن الحلاج قد أظهر كرامات عامة أراد بها تأييد بعض دعاواه ، فخلط بهذا بين الكرامة والمعجزة . وهنا تبلبلت العقول ، وثارت النفوس وبرزت الى الوجود نظريات جديدة ، فأعلن الباقلانى - وهو على رأس المدرسة الاشعرية اذ ذاك - أنه يقر (المخاريق) أو خوارق العادات التى تظهر على أيدى الصالحين والسحرة حسب الارادة الالهية .

وصرح المعتزلة بالجحود الشامل للكرامات حتى لدى الصحابة أنفسهم . وعلى رأس المجاهرين بهذا الرأى الجبائى وأبو هاشم اللذان لم يكتفيا بانكار هذه الكرامات ، بل أعلنا أن ما يظهر منها ليس الا شعوذة .

وقرر الفلاسفة المتأثرون بالآراء الاغريقية أن المعجزات والكرامات أمور طبيعية لا تختلف مع النواميس الكونية الا فى التحولات الظاهرية التى لا يعقلها الا الصفوة العالمون ، أى أن بقاء جسم ابراهيم على حاله من قابلية الاحتراق وبقاء النار على حالها من قابلية الاحراق ، ثم نزوله فيها دون أن يحترق أمر مستحيل ، أما طلاء جسم ابراهيم بمادة عازلة أو سلب النار القوة المحرقة وقت القائه فيها فهو ممكن ، ويسمى بالمعجزة .

وأما الامامية فقد جاهروا بأن الكرامات مقصورة على أئمتهم فحسب .

ومما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد أن الاكثرية الغالبة من صوفية عصر الحلاج قد أدانوه ، ولكن لا انكارا للخوارق أو جحودا للكرامات ، بل لاقترافه جريمة « افشاء سر الربوبية » باعلانه الكرامات على رؤوس الاشهاد وأكثر من ذلك أنه هو نفسه قد صرح بأنه يستحق هذه العقوبة ، لأنه لم يتمسك بعهد الله حين أفشى السر الاعظم . وفى هذا يقول امام العارفين محيى الدين بن عربى : ان واجب النبى أن يظهر معجزاته لتأييد رسالته وأن واجب كل من جاء بعد النبى هو أن يخفى كراماته ، لأنه ليس رسولا ولا مشرعا . وبالتالى ليس فى حاجة الى التأييد .

هذا ولا يفوتنا ان نجمل هذا العرض بقولنا : ان اجماع أهل السنة ، لا يزال منعقدا على وجود الكرامات لأولياء الله الذين « **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »

وأثبتن للاولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

على أننا نحن أبناء الشرق مهد الانوار والاسرار ، كيف يخفى علينا ما يحتويه الشرق العريق فى الايمان من رجال أتقياء ، تلقوا من الفيض الالهى ما رفعهم الى مقام من لو أقسم على الله لابره ، بل انى استطيع أنا شخصيا أن أصرح بأنى شاهدت فى طفولتى من كرامات أولئك الاتقياء مالا يمحى أثره من نفسى مدى الحياة .

● الدكتور محمد مصطفى حلمى

الواقع ان الدكتور غلاب أفاض كعهده ، فقد عرض للكرامات عرضا موضوعيا ، ثم أخذ بعد ذلك يبدى رأيه ، أو رأى المتقدمين الذين أثبتوا الكرامة وآمنوا بها ٠

على ان الدكتور غلاب ، ذكر الحلاج على سبيل المثال، وقال أنه لقى مالقى عقوبة له على اباحته لاسرار الربوبية ، واحب ان أفهم أولا ، ماذا يعنى بسر الربوبية هنا ، كى يتبين لنا وجه الاتصال بين هذا السر وموضوع الندوة : وهو الكرامة

الحلاج لقى حتفه وعوقب عقابا شنيعا ، لانه زعم زعما خطيرا ، ادعى فيه الالوهية بمقالته المشهورة « أنا الحق » ففهم الظانون ، أو فهم المحجبون أنه حينما يتحدث فكأنه يتحدث بلسان الله سبحانه ٠

أما موضوع الكرامة ، فأمر يختلف عن هذا كل الاختلاف ، فما هو اذن وجه المناسبة هنا ، ان الحلاج قد عوقب على دعوى هائلة ادعاها ٠

● الدكتور محمد غلاب

أنا اتفق مع الدكتور حلمى ٠ والخلاف هنا لفظى ، فمأساة الحلاج قد أثارتها أحقاد شخصية ، ثم أنه لما أظهر الكرامات وأسرف فيها وهتك حجابها ، سلط الله عليه المحجوبين فاتهموه ٠ أى أنه عوقب من الله سبحانه لانه لم يصن سر الكرامة ، ولم يقصرها على الهدف المراد منها

● الدكتور محمد يوسف :

يسأل الدكتور حلمى عن سر الربوبية ، ماهو ؟ وما المراد منه ؟ ولم نسمع الى الآن تفصيلا له وبيانا ؟

● الدكتور محمد غلاب :

من أسرار الربوبية الكرامة ، والحلاج اذاع الكرامة ، وجعلها دليلا على مايذهب اليه ،وهذا التدليل الذى لاينبغى الا للانبياء سبب نكبته ومأساته

● الدكتور محمد مصطفى حلمى :

اذا كانت الكرامة محظورة على الولى فلماذا يجريها الله سبحانه على يديه؟ ولماذا يطلب منه ان يحجبها وقد اكرمه بها ؟

● **الدكتور محمد غلاب :**

قلت ان الكرامة فضل الله يجريه على يدى من يشاء من عبـــاده ، ولكن الخطر هو فى اذاعة اسرار الكرامة ، أو التباهى بها ٠

● **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

اذن فما هى الحكمة من اجراء الكرامة على يد ولى ، اذا لم يكن من ورائها المعرفة ، ليقتدى الناس بهذا الولى ٠

● **الدكتور محمد غلاب :**

قلت ان المطلوب من الولى هو قصرها على محيط ضيق خاص بين مريديه واصفيائه ليسير واعلى نهجه ٠ ويصحبوا بدورهم هداة للناس ، ومصابيح للدعوة والارشاد ٠

● **محمد هارون الحلو :**

كيف يهان الحلاج هذه الاهانة البشعة ، بعد أن كرمه الله وأجرى على يديه الكرامات ٠ ما هذا التناقض ؟ مع ان المفروض ان العناية الربانيـــة تلازم الولى وتصاحبه

● **السيد ميرغنى الادريسى :**

ان ما اصاب الحلاج كان امتحانا من الله سبحانه ، وليس باهانه ، انه ابتلاء وتطهير ورفع درجات

ورسل الله عليهم الصلاة والسلام ، وهم أفضل خلق الله واكرمهم عند ربهم ، قد امتحنوا أو ابتلوا وعذبوا وقتلوا ، ولم يقل أحد انهم قد أهينوا أو تخلت عنهم عناية الله ورحمته

ان ما يصيب صاحب العقيدة والدعوة ، فى سبيل عقيـــدته ودعوته ، ليس باهانة ٠ انه كرامة وبطولة ، وجهاد وطاعة ٠

والرسول صلوات الله عليه يقول : « اشدكم بلاء الانبياء ثم الامثـــل فالامثل »

وجاء فريق من الصحابة الى رسول الله صلوات الله عليه يشـــكون مما تصب عليهم قريش من عذاب وعدوان ٠ فغضب حتى برز عرق فى جبينه ثم قال : « لقد كان من قبلكم يؤخذون فيمشطون بامشاط الحـــديد حتى يفصل اللحم من العظم ٠ فصبروا ولم يهنوا » والله سبحانه يقول فى محكم كتابه مخاطبا المؤمنين من عباده « **أم حسبتم أن تدخلوا الجنـة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا** »

(البقية على صفحة ٦٩)

الوساطة الروحية والرسالة

للكاتب العراقي الاستاذ ابراهيم سليمان الكواز

في الحقيقة أن كل انسان منا في داخله قوى لطيفة شفافة تكتنف جواهر ماخلقت من أجلها ، أبدعها القهار العظيم . واسبغ عليها أهابها من الطين اللازب كي تتعلم وتتثقف اذ أن الروح تولد جاهلة ، غير متعلمة . **(وعلم آدم الاسماء كلها ، وعلم الانسان مالم يعلم)** .

غير أن الله جل شأنه وعظمت قدرته ، وهو ما يعبر عنه علماء الغرب بأنه «الروح الاعظم» تقريبا لعقولهم وتفهيما لذواتهم ، أسبغ على كثير من البشر طاقات هائلة من قوى الروح البشرى ، هذا من جهة ومن جهة أخرى جعل أجسادهم الترابية شفافة متخلخلة مما اضاف على عقولهم الروحية قوى عظيمة ، ساعدتهم على الاتصال بعالم الروح وتلقى الالهامات والوحى ، وكان لغذائهم البسيط وصيامهم الطويل الأمد فعله الفعال في سهولة الاتصال .

ثم انتخب العقل الاعظم ـ كما يسميه البعض الآخر من علماء الغرب ـ من ذلك الكثير من البشر ، نخبة يربو عددهم على المائة والخمسة والعشرين ألفا فهيأ هم وأعدهم وكأنهم محطات استقبال عظيمة لتتلقى الوحى والالهام لارشادها للطريق القويم أولا ، ولارشاد الآخرين من أقوامهم واخوانهم الى ترك عبادة الحيوان والانسان والاصنام والى عبادة الله الملك العلام ، وعلى كثير من هؤلاء النخبة الممتازة أطلقت التوراة اسم «الرائين» وهم الذين بثوا في بنى اسرائيل تعاليم الخلاق ، ونصحه الشديد لشعبه المختارفي تنكب طرق الشيطان والتمسك بطريق الرحمن ، وكان جزاء الكثيرين منهم السجن والشنق والحرق كما فعل شاؤول مع داود عليه السلام (صموئيل الاول ٢٨ : ٢) .

ومن هذا العدد المحدود انتخب الخلاق المبدع خمسة وعشرين رسولا كانت قواهم الروحية المبدعة ، ورباطة جأشهم من جهة ، وشدة بأس أقوامهم وجبروتهم من جهة أخرى عالية جدا ، انتخبهم رسلا مبشرين ومنذرين فهدوا أقوامهم الى سواء السبيل .

ثم انتخب القادر فوق عباده بضعة منهم لايزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ، وهؤلاء الخمسة في العدد ، العظام في القوى ، الشداد في الحق ، اذ هم كالجبال الصم في مناطحة تيار أقوامهم الضحضاح وان كان أولئك الأقوام فعلا أقوى في المال والجهل والقوة وأرقى من أولئك الأقوام الذين سبقوهم وأعلا ثقافة بشرية منهم ، فلم يتزعزعوا قيد أنملة أمام جبروتهم بل ضربوا المثل الحسن والقدوة الجليلة في الثبات على المبدأ ، وانفاذ

الرسالات اللاتى ألزموا بتبليغها دون تردد ومماشاة لرغبة أقوالهم .
(ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا)

اثنان من أعاظم هؤلاء الرسل أرسلا لشعب اسرائيل فيمن أرسل اليهم من مئات لايحصون . وبالرغم مالهذين العظيمين من قوى روحية راقية جدا ومن تأييد الروح القدس ـ جبريل ـ لهما ، فقد خذل اسرائيل أولهما بعد اعتكافه أربعين ليلة فعبدوا العجل المصنوع من ذهبهم ، وحاولوا صلب ثانيهما لولا أن أنجاه الله الى ربوة ذات قرار ومعين . ونفذ الصلب فى المشبه به وكأنهم أرادوا شكر الرب على انقاذهم من ذل الفراعنة أو جعلهم سادة فلسطين فخذلهم التوفيق .

ختم الله رسالاته بأعاظم المرسلين والانبياء ، محمد صلى الله عليه وسلم ولد الرسول الاكرم وكان كل أهابه روح ، فلم يكد يبلغ الاربعين من عمره الا وقد تفتحت روحانيته وامتلأت هالته بالروح القدس ، جبريل ، فبلغه اختيار المولى له ، فصدع بما أمر ، فما هى الا هنيهة فى حساب الزمن واذا بأولئك الحفاة ، الرعاة ، ذوى القلوب الشديدة القاسية التى لاتلين ولا تطرف لها عين عندما تئد فلذة كبدها خشية العار أو الاملاق . اذ بهم قادة الامم ومنار ثقافتها ، ومعلمى تهذيبها ، واذا بهم مؤسسى سياسات اجتماعية راقية ، بعظيم واحد من عظماء الرسل والانبياء ، وهذا لعمرى أفضل دليل وخير مثال على ماتمتع به فخر العروبة من نفس جياشة وروح عالية ، مكنها الاتصال بالملأ الأعلى ويتقبل الاتصال الروحى بأعظم الارواح شأنا وأعلاهم منزلة وهو «**الروح الامين**» المعنى فى قوله تعالى «**يسئلونك**» وهو هو الذى نزل بالقرآن العظيم على قلب أفضل العباد وأعلاهم روحا وأرقاهم مستوى حسبما يتنادى به رجال العلم الروحى حديثا .

فمحمد الرسول خير وسيط ظهر على كرتنا الارضية فى حياتنا المحدودة منذ تكورت وأصبحت أهلا للحياة عليها الى أن تتبعثر فى الفضاء وتتزلزل وتتجزأ ، وتخرج أثقالها .. ان المشيئة الالهية لازالت تعتنى بالبشر الذى خلقته وبضعفه وتعنته ، فانها كذلك لاتريد أن يضل فى تيهه سادرا بعد انقطاع الوساطة النبوية وامحاء منار الرسالات الالهية ، فانها قبل ان تقوم الساعة ولكيلا يبقى للناس على الله حجة ، هيأت للبشر فى أنحاء كرتنا وسطاء روحيين لايهتمون الا باستقبال هدايات الارواح واعلانها للملأ لترعوى وتهتدى وتتقى الله جل شأنه ، ولعل ذاك مصداق قوله تعالى : « **ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى** » فتكليم الموتى حدث للعالم بعد انقطاع رسالات الرسل ، ما حصل لبعض رجالات انجلترا فأنقذهم الاتصال الروحى والوساطة الروحية من ضلال الالحادية الى الاقرار لله الخالق بالوحدانية فأسموه العقل الأعظم أو الروح الاكبر .

★★★

العلم الروحي الحديث وآراء رجالات الغربيين وان كان لايقلل من شأن رسالات الرسل فانه يتطلب منا ، نحن مهبط الوحي وينبوع الديانات الثلاث الكبار وبخاصة رجالات ديننا أن يكونوا اللجان ويهيئوا ويحشدوا كل مامن شأنه التعريف بالرسل والرسالة التي جاءوا بها الى النـــاس كافة ، وأن يدعو الفروع متمسكين بالاصول · أصول الرسالات كلها على اختلاف رسلها ، انما هي توحيدالله،فالله سبحانه وتعالى فرد واحد لاشبيه له ولامثيل،لاند له وكل ما عداه مخلوق من خلق فضله وأفضاله من خلق يمينه ، ان شاء أوجده وان لم يشأ أعدمه ، فكل المخلوقات بما فيها الرسل بل أعاظمهم لايملكون حولا ولا قوة ولا ارادة ضد ارادة الله الخالق المبدع السيد العظيم ·· هذا هو الأصل في الرسالات وتعددها وهو ما أسماه المولى تعالى « الاسلام » في القرآن ، أي الاستسلام لله في العبادة لا لاحد سواه ·· فاذا فهم الغرب ذلك من سادتنا وعرفوا من علمائنا حسن ماجاء به الانبياء والمرســلون ، وان لارغبة دنيوية لهم في ملك ، أو في سيادة على الاخرين ، كانوا خير صناجة ودعاة للعالم المتأخر الى الدخول في هذا الدين الحنيف ، دين العالمين ·· بقيت كلمة وددت توضيحها ، فان من يظن أن الوساطة الروحية كالنبــوة أو الرسالة فهو على جهل بالعلم الروحي أو الدين أو كليهما · اذ ليست كل روح ذات قوى تؤهلها للاتصال بروح من عالم الروح · وان حصل لها بعض ذلك الاتصال فليس بوسعها أن تتصل بأرواح عالية ، أرواح راقية في مستوى أرفع بكثير من مستوى الارواح الاخرى · وان أتيح لها اتصال وهذا فرض احتمالي بعيد تحققه · لاختلاف المستوى الروحي أولا ولصعوبة التوافق بين المستويين ثانيا فان مثل هذان الوسيطان يتصـــل برئيس الارواح ، جبريل عليه السلام ·· وان اضطررت للتمثيل ، فأود أن أعلن أن كل الانبياء يستطيعون الاتصال بجبريل في حالات السبات فقط ، أما يقظة فليس باستطاعتهم ذلك ، واتصال جبريل يقظة يتم مع الرسل فقط فالرسل عليهم الصلاة والسلام يستطيعون الاتصال به ويشاهدونه يقظــة وسباتا ، وهذا لعمري هو الفرق بين الرسول والنبي · فاذا كان النبي لايستطيع الاتصال بجبريل يقظة فكم بالحري هؤلاء الذين يسميهم العلم الروحي «وسطاء» أن يكونوا بعيدين عن امكانية الاتصال بجبريل بل بمن هو دونه مراتبا كثيرة ·

من كل ما مر نفهم عظمة الرسول الأكرم وعلو مرتبتـــه بين الارواح ووساطته الراقية بالملأ الأعلى وما امتاز به من طرح روحي ارادي ولا ارادي جعله يخترق السبع الطباق ويصبح من الروح الاعظم قاب قوسين أو أدنى·

بغداد — ابراهيم الكواز

الرفاعى

للاستاذ محمد على الطعمى
واعظ مركز نجع حمادى

نحن الآن مع بطل من أبطال التصوف الاسلامى المشهود لهم بالورع وفطانة العقل وقوة الايمان ، ظل يمارس حياة التعبد والتبتل حتى غمرته فيوضات سماوية جعلته يسبح فى ملكوت من المعرفة واليقين ، فلا غرو ان حدث عنه التاريخ وسجل له صحائف من المجد والزهد وقوة الشخصية .

ولد سنة ٥٠٠ فى أرض البطائح ، وله نسب يتصل ببنى رفاعه من قبائل العرب ، وقد نشأ كريما يحترم الصلاة ويخشى الله وينأى عن سفاف الامور وصغائر الاشياء .

لقى مرة « عبد الملك » الناسك فقال له أوصنى ، فقال « ما أقبح الجهل بالاولياء والعلة بالاطباء والجفاء بالاحباء » قال الرفاعى سمعت هذه النصيحة من هذا الناسك ، فوعاها قلبى واستوعبتها نفسى فاتخذتها سبيلى الى الفتح والتهذيب حتى انكشف لى ما كان خافيا ، وعلمت ما لم أكن أعلم .

أعرض الرفاعى فى صدر حياته عن زهرة الدنيا وطمع فى الآخرة بالعمل والمثابرة وصيام النهار وقيام الليل ، كذلك تقرب الى الفقراء والمساكين ، فكان يغشى مجالسهم ويطيل السمر معهم بعد أن يحمل لهم الطعام والشراب وما يشتهون ، وكان كثير الترداد على المرضى من أصحابه وغير أصحابه ليحمل نفوسهم على الصبر ويباعد بينهم وبين الجزع والفزع وقلق الروح وعذاب الضمير ، وكانت له مجالس علمية لا تنفض يلقى فيها العظات المؤثرة التى تشق طريقها الى الاسماع والقلوب . قال لاتباعه مرة « من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فان مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله ، فان الضربة أول ماتقع تقع على الرأس »

على هذا المنوال الذاكى اخذ الشيخ يربى تلاميذه ويمرنهم على التواضع الكلى الذى به يصير المريد محبوبا مع الله والناس ، ويحول بينهم وبين الكبر الذى أطاح بابليس وجعله منفيا من رحمة الله ..

أرسل اليه بعض حاقديه كتابا يشتمه فيه ، فلما اطلع عليه ابتسم وكتب اليه يطلب منه العفو ، ثم ختم كتابه بهذا البيت

ولست أبالى من زمانى بريبة . اذا كنت عند الله غير مريب

بهذا اللون الصوفى الرائع ذاع صيت الشيخ الرفاعى وهرع اليه الاتباع والمريدون من كل فج وبايعوه بالاستاذية ، فركب بهم سفينة النجاة التى مخرت فى بحر التصوف المستنير الذى لا يحيد عن كتاب الله وسنة رسوله ، وتلك عظمة نفسية لا يسمو اليها الا كبار العارفين .

نظرات بين العلم والدين

القرآن والانفجار الذرى

بقلم : الدكتور محمد جمال الدين الفندى
أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة

كان انفجار أول قنبلة ذرية فى نيومكسيكو عام ١٩٤٥ بداية سلسلة من التجارب العلمية الرهيبة ، والحادثات الدولية الخطيرة التى تذكرها أغلب أمم الارض ولا تنساها ، وتتناولها بالتعليق من وجهات نظر عديدة وليس من شك أن كل ماعلى الارض قد تأثر بدرجات متفاوتة بهذه التجارب وما صحبها فى كل مرة من انتشار ذرات وسحب مشعة لا تصل لأهل الارض هى الغبار الذرى ٠

والحق أنه منذ سنين عديدة ، فى فجر العصر الذرى ، والبحوث تجرى فى كثير من بقاع الارض للوقوف على مدى التأثيرات الضارة التى صحبت انتشار هذا الغبار المتزايد فى جو الارض بسبب الاصرار على اجراء التجارب الذرية ٠٠ ولقد اهتمت أغلب الدول بهذه الدراسات وتطلعت الى معرفة نتائجها ، والوقوف على حقيقتها ، ولفترة من الزمن انصب البحث والتنقيب على تحديد نوع الاشعاعات التى يبعثها الغبار الذرى ، والتى تؤثر على عالمى الاحياء من حيوان ونبات ، ثم تناول البحث التأثير على الجو ٠٠ ورغم انه خلال هذه الدراسات تم تحليل كميات وفيرة من تربة الارض والماء والمطر وعينات عديدة من النبات والحيوان والاغذية المختلفة ٠ وأنسجة كثيرة من أجسام البشر فى مختلف بقاع الارض ، فان هذه البحوث الهامة لم يعرها الجمهور القدر الكافى ، وفى أى تجربة تجرى تتوقف كميات الغبار الذرى المتناثر فى الجو الى حد كبير على : أولا نوع السلاح ٠ وثانيا طبيعة مكان اجراء التجربة ، فان أجريت فى الجو توقفت النتائج على طبيعة الجو السائد وثالثا تتوقف كميات الغبار على بعد الانفجار من سطح الارض ، ومعنى ذلك أن نتائج كل تجربة تجرى وما يتبعها من انبعاث اشعاعات وغبار ذرى تختلف تماما من حالة الى أخرى ، وهناك محاولات لعمل مايسمى (القنابل النظيفة) وهى التى لايصحبها انتشار الغبار بكميات وفيرة ، وهذا أمر يتوقف على حسن اختيار الزمان والمكان ، ثم على القنبلة نفسها اذا صح هذا القول ، وفى العادة تجرى التجارب الذرية فى المناطق النائية الخالية وفى حالات من الجو المستقر الغير ملائم لتولد العواصف ٠

وهناك حالات جوية خاصة تتميز بطبيعتها بامكان توفر الغبار الذرى فيها وعظم تركيز النشاط الاشعاعى بها عند اجراء التجارب أو لمجرد تسرب

الاشعاعات الذرية اليها من أى وحدة ، وأهم هذه الحالات كلها الاجواء المعتمة أو المتربة ، مثل حالات الشابورة أو الرمال المثارة أو عواصف الرمل والتراب ، فالغبار الجوى الطبيعى معرض لحمل الاشعاع الذرى ويمكن أن تلتصق به النويات المشعة ، وما الغبار الذرى نفسه الامجموعة ضخمة من الجكسيمات والغازات المشعة المختلفة الصفات ، وتشترك فى تكوينه كافة الاجسام الداخلة فى صنع القنبلة ، ثم مايحيط بها أو ماقد يصادفها من مواد الارض عند انطلاقها ، ولهذا السبب تعتبر الأجواء المتربة من أخطر الاجواء لاجراء التجارب الذرية عموما ٠

وعندما يضاف الغبار الذرى الى الجو نجدأن منه ما يتساقط سريعا بسبب حجومه الكبيرة ، ومنه ما يتساقط مع المطر على أبعاد مختلفة قد تكون نائية وبعيدة ، كما أن منه مايرتفع الى أعالى الجو ويدخل طبقة الستراتوسفير ، تلك الطبقة العالية التى لاتصل اليها السحب ولا ينزل منها المطر ، فيبقى هذا الغبار سابحا فيها سنين عديدة ويترسب منها ببطء شديد ، ويشمل النوعان الثانى والثالث أهم أنواع الغبار الذرى الذى يمكن أن يتساقط عندنا ويسبب ترسب عناصر مشعة ضارة وسامة مثل عنصر سترانشيوم ٩٠ ، الذى اذا تواجد بكميات كافية يمكن أن يسبب الاورام الخبيثة مثل السرطان وأمراض الدم والاعصاب المستعصية، كما أنه قد يؤثر على الوراثة، ويقال أن جيلا جديدا من بعض الحشرات العنيدة الضارة والميكروبات ، ثم الفيروسات الفتاكة فى طريقه الى التكاثر وتثبيت أقدامه على سطح الارض وفى جوها من جراء هذه التجارب ، وعلى رأس هذه المجموعة كلها الانفلوانزا الخبيثة ٠

ويتوقف الارتفاع فى الجو الذى يصل اليه الغبار أو المارد الذرى على مقدار الطاقة المنبعثة وعلى جغرافية الوسط الذى يتم فيه الانفجار ، وأغلب الاسلحة التى طاقاتها فى حدود الحرارة التى يمكن أن تنبعث من تفجير آلاف أطنان الديناميت يقرن باسم (الكيلو طن) ويقتصر غبارها على مناطق الجو السفلى الذى لايتصدى ارتفاعه عشرة كيلومترات مثلا ، أما ذوات ملايين الاطنان أو (الميجاطين) فهى من القوة بحيث تستطيع أن ترسل كميات وفيرة من الغبار الذرى الدقيق الى طبخة الستراتوسفير ، أى الى ارتفاعات تزيد على ١٥ كيلومترا فى المتوسط وسريعا ماينتشر الرماد والغبار والغاز المشع بعد ذلك متأثرا بدورات الرياح ، وذلك فى نفس الوقت الذى تترسب فيه تحت تأثير جذب الارض ، وقد قسم الغبار الذرى من حيث مجرد مجالات ترسبه الى ثلاثة أنواع هى :

أولا : الجسيمات التى تتساقط خلال اليوم الاول للانفجار ، وهى بطبيعة الحال ذرات حديثة التولد عظيمة الاشعاع كبيرة الحجم ، وتعرف باسم (الغبار الحديث) ٠

ثانيا : الغبار الذى يترسب خلال المدة الممتدة من عدة أيام الى عدةأسابيع من تاريخ الانفجار ، ويطلق عليه عادة اسم : (الغبار متوسط العمر) ٠

ثالثا : (الغبار القديم) ، وهو الذى يبقى عالقا خلال فترات تمتد منعدة شهور الى عدة سنين قد تصل الى عشرة سنوات ، وأغلبه من نتاج الانفجارات العنيفة التى يمتد فيها المارد الذرى الى مافوق ٢٥كيلومترا ، وهو يتساقط ببطء شديد من هواء منطقة الستراتوسفير ٠وتترك أهم الوسائل المستخدمة فى قياس الغبار الذرى فى أى منطقة أو اقليم فى رصد كمياته العالقة فعلا فى الجو السفلى أو المترسبة على سطح الارض فى ذلك سترانشيوم ٩٠ ، أما الكميات التى تتساقط مع المطر أو حبـــات البرد أو بلورات الثلج ، فهى لا تعطينا فكرة صحيحة غالبا ، وهناك أجهزة عديدة مثل (عدادات جيجر ، يمكن بها قياس التركيز الاشعاعى فى الجو ٠

ويتراكم الغبار الذرى الحديث على بعد بضعة مئات الكيلومترات من مكان الانفجار ، وتختلف كميات وعينات حباته باختلاف قرب أو بعد الانفجار عن سطح الارض ، وعندمايتم الانفجار على السطح تتهشم وتتمزق وتتبخر كميات لاحصر لها من مادة الارض وما عليها ، وتختلط هذه المســاحيق بمواد القنبلة واشعاعاتها ، وتكون مجموعة ضخمة ومعقدة من الغبار الذرى المشع الذى يصعد الى السماء فى صورة مارد جبار ترتفع داخله درجةالحرارة الى عدة آلاف ، كما تكتنفه الدوامات الذريعة ، وعندما يتوقف المارد عن النمو فى الاتجاه الرأسى تكون دواماته العنيفة قد هدأت أو توقفت بالفعل ويستغرق ذلك بعضا من الوقت تبدأ بعده الجسيمات الكبيرة فى الترتيب ، وتتمخض الحوادث سريعا عن تغطية مساحة واسعة حول مركز الانفجار ورغم ذلك انبثقت مواد الارض ، واندفعت الى أعلى وكأنها تحشر حشرا الى بذرات نشطة الاشعاع جدا ، وتمتد هذه المساحة فى اتجاه هبوب الرياح ٠

وعندما يتم الانفجار بعيدا عن السطح، ولا تتوفر الفرصة الكافيةلانبعاث مواد الارض واختلاطها بالمواد المتفجرة ، يتكون أغلب الغبار الذرى من مواد القنبلة ذاتها ، ويكون فى صورة ذرات دقيقة الحجم عظيمـــة النشـــاط الاشعاعى ٠ وقد رصدت حالات تم فيها الانفجار بعيدا عن سطح الارض ، ورغم ذلك انبثقت مواد الارض ، واندفعت الى أعلى وكأنها تحشر حشرا الى جسم المارد الذرى المتولد ، وبالرغم من أن أطنانا عديدة من الرمال وحطام المادة يمكن أن تشترك فى بناء هذا المارد ، الا أن الاختلاط والمزج بينسائر المكونات لايكتملان الا اذا تم الانفجار على السطح ، أما فى الانفجارات العليا تترسب كميات صغيرة نسبيا من المواد المشـــعة فى المنطقة كلها ويقـــل الغبار الذرى المنطلق فى الجو عموما ٠

وتدل الابحاث والتجارب على أنه فى سائر التفجيرات السطحية يترسب نحو ٧٠٪ أو ٨٠٪ من الذرات الحديثة على مساحـــة تمتد الى مئـــات

الكيلومترات من مركز الانفجار ، وتحمل الأهوية المختلفة الشدة والاتجاه الرماد الباقى الى سائر أرجاء الارض حيث يمكن أن يترسب من طبقة الى أخرى قبل أن يستقر على السطح ، والمعتقد أن نسبة الترسبات المحلية من الغبار الحديث تزداد كثيرا كلما كان السلاح الذرى صغيرا ، أما الاسلحة الكبيرة ، أو ذوات المجاطن فيمكنها أن ترسل الغبار الى مافوق طبقات تكون السحب وتزول المطر . وكما اننا قد نعزو ازدياد كميات الغبـــار الذرى المترسب فى الايام المطرة التى تعقب كل تجربة الى ازدياد الهطول ، يمكن أن نعكس الآية ونعزو ازدياد كميات الهطول أو بعض حالات منها على الاقل ، الى ازدياد تركيز الغبار الذرى فى الجو فى تلك الحالات ، خصوصا وان علاقة طبيعية يمكن أن تقوم على أساس علمى سليم فى كل من الحالتين ، وقد وجد بالقياس أنه عندما يتساقط المطر مع مرور السحب الذرية تبلغ ترسبات الغبار الذرى أكبر قيمة لها ، وقد تصل الى ٢٠ مرة ضعف مايترسب اذا لم يتساقط المطر .

وهناك الى جانب ذلك ترسبات محلية للاتربة الذرية تحدث خاصة على المرتفعات والمبانى وعلى أغصان الشجر وأوراقه والأعمدة والتماثيل ونحوها وأعظم نتاج الانشطارات النووية خطرا على وجه العموم هوسترانشيوم ٩٠ الذى يمكن أن يمكث فى طبقة الستراتوسفير من ٥ الى ١٥ سنة ، ومعنى ذلك أن أغلب ترسبات الغبار الذرى الذى دخل طبقة الستراتوسفير فى مستهل العصر الذرى لم تتم بعد ، بل ولم تصل بعد الى معدلاتها العظمى ، وقد يكون لها من الاثر ماليس فى الحسبان .

وهناك عامل أساسى يجب أن يسود فى الجو لتتكون فيه السحب المطرة وهى السحب التى تتحول داخلها أبخرة المياه الى نقط نامية من الماء ، هذا العامل هو توفر جسيمات صغيرة تعرف باسم نويات التكاثف عملها الاساسى هو جذب جزئيات تجار الماء اليها وحملها على البقاء متماسكة معها فى صورة فقط مختلفة الحجم . ولقد وجد أن الايونات ذات النشاط الاشعاعى التى يولدها الغبار الذرى من أجود هذه النويات . كما أنها تقدح الزناد وتهىء الامور لشحن السحب بالكهربائية ، وبديهى أن العصر الذرى قد أضاف الى جو الارض فى طبقاته السفلى عددا وفيرا من الايونات المشعة وذرات الغبار المختلف الحجم والصفات ، وهو اذا قد أضاف كميات لاحصر لها من نويات التكاثف ، قد تصل الى ٢٤١٠ حبة ، أى عشرة متبوعة بثلاثة وعشرين من الاصفار فى كل حالة ، وتهيأت بذلك فرص عظيمة لتغذية مجموعات واسعة من السحب تغذية صناعية وهطول أمطار هى أشبه شىء بالمطر الصناعى الذى تجرى تجاربه فى بعض الدول فى هذا العصر .

واذا افترضنا أن كمية المطر الصناعى الذى يتساقط عقب كل تجربة هى فى حدود المألوف ، أى من نحو ٥ الى ٧ ملليمترات على مساحات مجموعها ١٠٠ × ١٠٠ كيلومترا مربعا فقط فان كمية الحرارة الكامنة التى يمكن

أن تنطلق بتكاثف أبخرة المياه الى مطر صناعى تعادل نحو ٥ × ١٦١٠سعر حرارى ، وهى كمية تفوق بكثير الطاقة التى تنبعث مباشرة من انطلاق القنبلة الذرية ، ومعنى ذلك بكل جلاء ووضوح هو ان أهم التأثيرات الطبيعية لانتشار الغبار الذرى فى جو الارض هى تأثيرات غير مباشرة تنحصر فى قدح الزناد لانطلاق كميات هائلة من الطاقة الكامنة أو المخزونة فى الجو .

والمعروف ان كمية الحرارة التى يمكن أن ترسلها القنبلة الذرية هى فى حدود ٣ × ١٠ـ١٣سعر حرارى ، أى ٣ متبوعة بثلاثة عشر من الاصفار ، وهذه الحرارة تكفى لتبخر كمية من ماء البحر حجمها لا يقل عن ٥٠ الف متر مكعب أما الفكرة فى القنبلة الايدروجينية وما على شاكلتها مما هو أشد فتكا وتدميرا ، فهى استخدام كميات عظيمة من المادة تنتهى فى سلسلة افنائها بتوليد مقادير أعظم من الطاقة والحرارة ، تصل الى آلاف أضعاف الطاقة التى ترسلها القنبلة الذرية العادية ، وتدخل فى عداد الطاقات التى صحبت انفجارات البراكين العظمى على الارض وغيرت معالم سطحها ، وسببت من الزلازل ما يهابه الناس وينذرون به :

« يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم »

ولقد ظهرت فى السنوات الاخيرة التى اشتد فيها التنافس بين الامم فى اجراء التجارب الذرية بعض ظواهر الجو غير العادية وكثر الجدل من حولها وأمكن تمييز هذه الظواهر فى كثير من الاقطار ، الا أن الاخفاق فى ملاحظتها أو تتبعها فى بعض البلاد ، ونحن لانزال فى مستهل العصر الذرى ، لايمكن أن يتخذ دليلا أو برهانا يقطع به فريق من العلماء على عدم تدخل عوامل جديدة فى جو الارض بسبب الانفجارات الذرية وانتشار الغبار الذرى ، وليس من شك أيضا أن درجة التوصيل الكهربائى للهواء قد اعتراها التغيير والتبديل وازدادت عمليات التباين فى كثير من أرجاء الجو ، وهاهى مكاتب الرصد الجوى لا تألوا جهدا فى اصدار التنبؤات والتحذيرات ولو اكتنفها الغموض فى بعض الحالات ، فقد خرج الشذوذ الجوى عن نطاق المألوف فى احصائياتنا ، ولا يمكن أن تتكرر الحوادث لمجرد الصدفة ، اذ لابد من تدخل عوامل جديدة لها من السيطرة والهيمنة المباشرة وغير المباشرة مايسبب هذه السلسلة من الظواهر غير العادية .

محمد جمال الفندى

مقام الاحسان

للاستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

الاحسان فضيلة من أجل فضائل الانسان ، وخصلة من خصال أهل التقى والعرفان وهو قسمان : الاول : الاحسان بمعنى التفضل والانعام .. فاذا فعل الانسان الواجب عليه نحو ربه وبنى جنسه وزاد عليه كان ذا فضل عظيم على نفسه ، حيث أنصفها وأحسن اليها باخلاصه وقيامه بعمله ، ولم يظلمها بتعريضها لغضب الله وسخطه قال الله تعالى : « **ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها** » وقال جل شأنه : **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** » .. وعلى الناس جميعا ، لاسدائه الجميل اليهم بوحى ضميره الحر فضلا منه وكرما ، وسمى ما أتى به زيادة عن الواجب من عمل البر والخير مع الافراد والجماعات احسانا .

وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم الاحسان بما جاء فى حديث جبريل عليه السلام حين سأله عنه بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .. فاذا راقب العبد ربه فى جميع شئونه ، وكل أحواله ، وملأ قلبه بهيبته وجلاله ، حتى كأنه يشاهده .. لم يترك شيئا مما يقدر عليه : من الخشوع والخضوع وحسن السمت ، الا أتى به ، ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله فى جميع أحوالك ، كعبادتك فى حال العيان » وذلك بان يكون الانسان حالى كونه فى عبادة الله ، مثل كونه رائيا له . وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم : أن أخشى الله كأنى أراه ، فان لم اكن أراه فانه يرانى » . وفى حديث حارثة المشهور أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا حارثة كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، قال : انظر ما تقول ، فان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ قال : يارسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى واظمأت نهارى ، وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا ، وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة كيف يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر الى أهل النار فى النار كيف يتعاوون فيها ! قال : عرفت فالزم عبدا نور الله بالايمان قلبه » وخطب عروة بن الزبير الى ابن عمر ابنته وهما فى الطواف فلم يجبه .. ثم لقيه بعد ذلك فاعتذر اليه وقال : « كنا فى الطواف نتخايل الله بين أعيننا » وهذا ما يعرف بمقام المشاهدة .. ولم يزد أحد فى تحقيقها على قول أبى عثمان المكى : انها أنوار التجلى على القلب بدون تخلل انقطاع ، فان القلب اذا دام فيه التجلى بدون تخلل غفلة استمر نهاره أبدا من غير

ليل ، كالليلة الظلماء تصير بتوالى البرق كالنهار.» أوحى الله الى داود عليه السلام : « يا داود انى خلقت قلوب المحبين المشتاقين من رضوانى ، ونعمتها بنور وجهى ، فجعلت أبدانهم موضع نظرى الى الارض ،وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى ، يزدادون فى كل يوم شوقا الى » .

ثم ان فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « فان لم تكن تراه فانه يراك » اشارة الى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه ، فليعبده على ان الله يراه، فيستحى من نظره اليه . كما روى عن معاذ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصاه لما بعثه الى اليمن فقال : « استحى من الله كما تستحى من رجل ذى هيبة من أهلك » وعن أبى امامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم وصى رجلا فقال له : « استحى من الله استحياءك من رجلين من صالحى عشيرتك لا يفارقانك » وقال بعض العارفين : اتق الله أن يكون أهون الناظرين اليك . وقال بعض السلف : من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله اياه فهو مخلص .. قال أبو عثمان المكى : قال لى أبو حفص : اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك ، فانهم يراقبون ظاهرك ، والله رقيب على باطنك » ويروى ان الله تعالى قال لملائكته : « أنتم موكلون بالظاهر ، وأنا الرقيب على الباطن » وقال محمد بن على الترمذى : اجعل مراقبتك لمن لاتغيب عن نظره اليك ، واجعل شكرك لمن لاتنقطع نعمه عليك ، واجعل طاعتك لمن لاتستغنى عنه، واجعل خضوعك لمن لاتخرج عن ملكه وسلطانه . وهذا ما يعرف بمقام المراقبة .. فكل من يعمل عملا وهو يعتقد بأن الله مطلع عليه وناظر اليه كان مراقبا له تعالى ، ولذا قيل : المراقبة هى علم العبد باطلاع الرب عليه واستدامته لذلك ، وهى أصل كل خير ، ولا يوصل اليها الا بعد المحاسبة الشديدة ، فاذا حاسب العبد نفسه على السالف ، وأصلحها فى الوقت ولزم الحق وحفظ الأنفاس : راقب الله فى كل أحواله ، فيعلم أن عليه رقيبا ، ومن قلبه قريبا ، يعلم أحواله ، ويرى أفعاله ، ويسمع أقواله ، قال تعالى : « **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد** » وقال جل شأنه : « **وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه** » وسئل بعض العارفين عن قول الله تعالى : « **رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه** . فقال : معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده » وفقنا الله لما فيه الخير والسداد بمنه وكرمه وفضله واحسانه

(عبد المنصف محمود عبد الفتاح)

الطب النبوى

بقلم الدكتور ابراهيم مصطفى عبده

- ٢ -

خير ما أبدأ به مقالى الثانى عن « الطب النبوى » ذكر بعض الارشادات الطبية التى أوصت بها الاحاديث النبوية ، وأولها :

الحث على النظافة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده)** .

لاشك فى أن الاغتسال من ضروريات الحياة ، لان العرق يحتوى على أملاح ذائبة واحماض طيارة ومواد دهنية تمتزج بغبار الهواء فتمنع التنفس الجلدى .

وازالة تلك الاوساخ تجعل الانسان بمأمن تام من الامراض وفى حصن منيع من العدوان بأى وباء لان الادران محط رجال الجراثيم .

واذا كان الجلد نظيفا أمكنه أن يؤدى وظائفه الاخرى غير افراز العرق كالاحتفاظ بحرارة الجسم .

ومن فوائد الطهارة أيضا أنها تنعش الجسم وتكسبه النشاط .

ولغسل كل عضو فائدة خاصة به ، فمن ذا الذى ينكر أن نظافة العين أس جمالها وسلامتها من الامراض التى قد تفقدها غالى البصر ؟ أو من ذا الذى يجادل فى أن نظافة الانف وقاية ضد أمراضه وأمراض التنفس ؟ .. كما أن نظافة الفم تساعد على انتظام عملية الهضم وتمنع أمراض المعدة والامعاء .

وان الايدى التى نتناول بها الطعام ونصافح بها الاحباب لجديرة بالنظافة التى فرضت لها فى الوضوء كما يقتضيه الذوق ويرتاح اليه العقل .

وعند ذكر الوضوء يجمل بنا ألا ننسى سنة الاستياك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)** .

المسواك وهو من شجر الاراك ينظف الاسنان من فضلات الطعام التى تسبب العفونة والتسويس ، فيتسنى للأسنان على الدوام أداء وظيفتها التى خلقت لها من المضغ واسالة اللعاب فتبدأ عملية الهضم بانتظام .

وللسواك خاصية تطهير الفم لانه يحتوى على مواد مفيدة لشد اللثة ومنع رائحة الفم الكريهة ويقلل البلغم وينقى الصوت .

* * *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الاناء) .**

النهى عن التنفس فى اناء الشرب للمبالغة فى النظافة ، فقد يخرج مع التنفس فى الزفير ما يخالط الشراب من اللعاب أو غاز ثانى أكسيد الكربون وربما يغص الشارب لعدم وجود الهواء الكافى .

وروى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس ثلاثا بأن يبين الاناء عن فمه ثم يتنفس خارجه ثم يعود فان ذلك أروى وأمرأ وأبرأ ، أى أقمع للعطش وأقوى على الهضم وأقل اثرافى تبريد المعدة.

* * *

ومن آدابه الصحية فى الاكل أن عمر بن أبى سلمه قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) .

* * *

عن مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا أولاهن بالتراب) .

يقال ولغ الكلب اذا شرب بطرف لسانه .

والمبالغة فى الغسل من الوجهة الصحية لانه ثبت بالفحص أن لعاب بعض الكلاب يحتوى على جراثيم (ميكروبات) لو امتزجت بما فى الاناء من شراب أو طعام ووصلت الى جوف الانسان لتولد عنها نوع من الديدان ، وربما ينجم عنها داء الكلب .

والحكمة فى استعمال التراب لانه يحتوى على النوشادر التى تبيد تلك الجراثيم .

ومن فوائد النوشادر أيضا أنها اذا دهن بها مكان لدغ العقرب سلم المصاب من التسمم .

هذا وان كثيرا من الأدوية الحديثة المعروفة باسم « مضـــادات العفونة » مصدرها الاصلى هو التراب ٠

ولما كان ذلك النوع من الكلاب الضارة لا يتميز عن غيره ، عمم الشارع الاحتراس من الجنس كله تفاديا من الخطر ٠

★ ★ ★

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لايبولن أحدكم فى الماء الـدائم الذى لايجرى ثم يغتسل فيه) ٠

الاصل فى مشروعية النظافة ازالة الاقذار عن الجسم ، فهل يليق بالعاقل أن يستعمل فى اغتساله ماء تكدر بامتزاجه بالبول فيضـــيف النجس الى أرجاسه بدلا من التخلى عنها ، فضلا عن أن الاغتسال فى الماء الملوث بالبول ينتج كثيرا من الامراض ، لان ذلك الوسط مكان صالح لنمو الجراثيم زيادة عن رائحته الكريهة وما يحصل للمغتسل به من الفتور ٠

ولعمرى ان الحكة (الجرب) والبول الدموى (البلهارسيا) نتائج ملموسة لاستعمال الماء القذر الملوث ٠

فلو أننا اتبعنا أمر الرسول عليه الصلاة والسلام وتباعدنا عما نهانا عنه لتمتعنا بالصحة وسلمنا من غائلة المرض ٠

★ ★ ★

أيها القارىء الكريم – هذا بعض ماورد من الاحاديث الصحيحة فى الحث على النظافة وهو قليل من كثير بل قطرة من بحر ٠

سيدى يارسول الله – جزاك الله عنا خير الجزاء فقد أوصيتنا بتنظيف أجسامنا وملابسنا وماكلنا ومشربنا ومسكننا وكل شىء يتصل بحياتنا ٠

فعليكم أيها المسلمون بالنظافة امتثالا لامر مرشدكم الحكيم ، عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم ، وقياما بواجب المحافظة على الصحة التى هى أثمن مرتجى ، قال تعالى : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ٠

★ ★ ★

ثانى الارشادات الطبية النبوية

اتقاء التخمة

أهدى المقوقس ملك القبط الى رسول الله صلى الله عليه وســـلم جارية وطبيبا فقبل الجارية وتزوجها وهى أم المؤمنين السيدة مارية التى أنجب منها سيدنا ابراهيم ، ورد الطبيب قائلا كلمته المأثورة ، وحكمته المشهورة: (نحن قوم لانأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لانشبع) ٠

وقال صلوات الله وسلامه عليه : (ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان ولا بد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) .

وهذان الحديثان هما المبدأ الاساسى لقانون الصحة لان ملء المعدة بالطعام يسبب أمراضا خطيرة قد تؤدى الى الهلاك .

وكان ابن عمر رضى الله عنه لايأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه ، فأتى يوما برجل يأكل معه ، فأكل كثيرا فقال لخادمه : لاتدخل هذا على مرة أخرى فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) .

يشير الى أن المؤمن من شأنه الزهد فى الدنيا والاكتفاء بما يسد رمقه ويبلغ به مقاصد الحياة فكأنه يأكل فى معى واحد ، أما الكافر فانه لنزوعه الى الاستكثار ، وحرصه على الاستئثار ، كأنه يأكل فى سبعة أمعاء .

فكمال الايمان حاجز عن مجاراة الكافر فى شرهه . قال تعالى : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)** .

* * *

وبهذه المناسبة نذكر شيئا عن :

مزايا الصيام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصوم جنة) ، جنة أى وقاية ، كيف لا وهو حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألوفات ، أما من الوجهه الطبية فان الصوم يحفظ الجسم من الامراض ويحميه من التخليط الذى يضره ، فضلا عن أن نظام الاكل فى وقتى الافطار والسحور أكبر منشط للمعدة ويقيها من الادواء المختلفة .

وتتضح فائدة الصوم للصحة اذا علم أن الاطباء ينصحون المرضى بالبول السكرى بالصوم من آن لآخر ، وفى مداواة الاسهال والنزلات المعدية والمعوية عند الاطفال يأمر الطبيب بابعاد الطفل الرضيع عن ثدى أمه لمدة يوم أو أكثر والاكتفاء باعطائه ماء الشعير او ماء الارز لاراحة المعدة والامعاء رغم حاجة الطفل الى التغذية .

لذلك اعترف الاطباء الغربيون بفضل الصوم وكتبوا عن مزاياه الطبية .

فلعل المسلمين فى جميع الاقطار يهتمون بأمر دينهم ، ويتفهمون حكمه ، ويتمسكون بأهدابه ، ويحرصون على تعاليمه .

ابراهيم مصطفى عبده

(للبحث بقية)

الصوفيون والاشعاع النفسانى

للاستاذ مرسى على نوفل

كل شىء فى الوجود له قدر من الاشعاع فالشمعة اذا احترق دهنها يشع منه نور يناسب قوتها وكذلك النجوم فى الليل ويشع من الشمس نور وحرارة ·· وهناك اشعاع أطلق عليه (نيوتن) الطيف وهو ألوان تظهر فى أشعة الشمس من الزجاج وقال عنه (أوليفر) العالم الانجليزى انه شىء يتموج وتتحدث الصحف عن الذرة وعن الاشعاع الحربى ··

والاشعاع النفسانى أن تؤثر شخصية عظيمة فى نفوس الاتباع والمريدين ولا يتكر قوة الشخصية وتأثيرها فى النفوس الا من أصيب فى انسانيته بزكام أو ضباب أو انحراف · وعلى قوة الشخصية تقوم الافكار وتقوم الاعمال · وقال (كارليل) ان تاريخ الانسانية هو تاريخ الابطال ·

ويتمتع بالاشعاع كثير من السادة الصوفيين ·· قال القشيرى فى رسالته لم أدخل على الاستاذ النصراباذى فى وقت بدايتى الا هائما وكنت أغتسل قبل دخولى وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاما منه أن أدخل عليه فاذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت اذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى حذر حتى لو غرز فى ابرة لعلى كنت لا أحس بها ثم اذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة فلما كنت أجلس كان يبتدىء بشرح واقعتى وغير مرة رأيت منه هذا عيانا ··

وقال ابن حوشب كان أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام اذا تحدثوا وفيهم معاذ ابن جبل نظروا اليه هيبة · وقال المؤرخون أن عمر بن الخطاب تنحنح والحجام يقص له شعره فذهل الحجام عن نفسه وكاد أن يغشى عليه وقد أمر له عمر بأربعين درهما ·· ودخل مقابل بن سليمان على حماد بن سلمة ولما جلس بين يديه قال مالى اذا نظرت اليك امتلأت منك هيبة فقال سمعت انس يقول سمعت رسول الله يقول : **ان العالم اذا أراد وجه الله هابه كل شىء واذا أراد أن يكنز الكنوز هاب كل شىء ·**

وصاحب الاشعاع يحالفه النجاح فى بث الافكار ومن الخير استغلال هذا المؤثر فى الدعوات الى الخير بين المريدين والاعطاء الناجح كما يقول علماء النفس أن تهدى أفكارك الى الناس من غير مكافأة وهذا يخلق المتعة ويحرك النفس ··

وقال جيمس : الدين يمدنا بدافع قوى لمواصلة الحياة ، وقال (بريل) : المؤمن لا يعانى مرضا نفسيا وقال (غاندى) : لولا الصلاة كنت معتوها منذ زمن طويل ·· ويمتاز الصوفيون بالتجمع والتجمع يهيىء للافكار أن تنتشر وما نريد الا اضاءة الانوار الجميلة الجذابة على روح الدين ليخف الانحراف وليسود السلام والاستقرار ·

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

المصطفى فى القرآن الكريم

للاستاذ حسنى طه شـكيبان

٢

لقد تأذن الله فى سمواته : من بعث لى بحب عن غير طريق محمد فهو مردود :

« **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم** »

ومن أراد طاعتى فليطع حبيبى ، فهو خليفتى بين الوجود :

« **ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله** » ٠

ومن شغلته حياته الدنيا عن حبى وحب حبيبى فقد خسر الدنيا والآخرة :

« **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ٠ والله لا يهدى القوم الفاسقين** » ٠

وأنت يامحمد فوق كل مقام ٠٠ فلا صلاة مرفوعة الينا دون اعلان فى جنبات العالم باسمى مقرونا به اسمك مرفوعا به ذكرى وذكراك ، ثم لا تكون لأحد صلاة ما لم يختمها بالشهادة بوحدانيتى ورسالتك ثم الصلاة والتسليم عليك كما أنت له أهل :

« **ورفعنا لك ذكرك ٠٠٠** »

التحيات الطيبات المباركات لله ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد ألا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ٠ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين ٠٠ انك حميد مجيد ٠

وفى الأذان المعلن خمس مرات فى اليوم : الله أكبر الله أكبر ٠ أشهد ألا اله الا الله (مرتين) أشهد أن محمدا رسول الله (مرتين) ٠

ويعلن الله العظيم انني أصلي وملائكتي على حبيبي فاذا أردتم قبولا لدى فصلوا عليه واكثروا من التسليم :

« ان الله وملائكته يصلون على النبي • يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » •

ومن هنا خاطب كل نبي باسمه غير حبيبه وصفيه :

« وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة ••• »

« يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك ••• »

« ياابراهيم اعرض عن هذا •• » ـ « يوسف اعرض عن هذا ••• »

« وبشرنا باسحق نبيا من الصالحين ••• » ـ « فنادته الملائكة وهو قائم في المحراب يصلي أن الله يبشرك بيحيى ••• » ـ « وزكريا اذ نادى ربه ••• »

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر ••• »

« اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ••• »

أما المصطفى فيناديه بالرسالة ويشرفه بالنبوة :

« يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ••• »

« يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ••• »

« يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » •

فان ذكره باسمه أضاف اليه كتابه أو وصف الرسول أو نداء حبيب مشفق عاطف ، أو قسما باسمه ثم بالقرآن العظيم ، أو تشريفا له بالعبودية :

« طه : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى • الا تذكرة لمن يخشى » •

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » •

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » •

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله •• لنريه من آياتنا • انه هو السميع البصير » •

« يس • والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين » •

وليس ذلك بعجيب فكلهم بشر برسالته ، وكلهم مهد للحق الكامل الذى جاء به وكلهم أخذ عليهم العهد والميثاق ليؤمنن به ولينصرنه ، وكلهم بين يديه يعمل فى حقل رسالته ٠

ففى التوراة والانجيل ذكره وذكر أمته وصفاته وصفات أمته وصحابته :

« **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم** » ٠

« **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ٠ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ٠ ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه ٠٠** »

« **واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد** » ٠

والميثاق مأخوذ عليهم منذ الأزل :

« **واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ٠ قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ ٠٠ قالوا : أقررنا ٠ قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » ٠

ومنذ قد جاء وهم فى ركابه يسألهم متى شاء فيما يشاء :

« **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ٠ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** » ٠

قل لى بربك ٠٠ أيكون ثمة كبير معنى لسؤالهم دون امكانة لذلك وطوفانهم من حوله ٠٠ يراهم كما يرى الملائكة ؟ ٠٠

لقد كان كذلك ٠٠ فهو الرسول الذى جمع تراث الأنبياء فى رسالة خالدة جامعة فكان بها للناس جميعا بشيرا ونذيرا :

« **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » ٠ « **قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » ٠ حتى اذا جاء فقد أغنى عن كل نذير :

« **ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا ٠٠٠** » وكتابه الخالد بين العالمين للعالمين : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » ٠ « **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** » ٠ العالمين جميعا ٠٠ كل مايصدق أن يكون عالما برأسه ٠٠ للجن والانس وكل عالم عاقل مكلف : « **ويخلق**

ما لاتعلمون » . لهم جميعا رسولا وبكتابه هاديا ومبشرا ونذيرا . فخطابه واضـــح :

« **يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار الســـموات والأرض فانفذوا .. لا تنفذون الا بسلطان .. فبأى آلاء ربكما تكذبان** » .

« **واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن** » .

فكان يرى الجن كما يرى الملائكة ويخاطب هؤلاء وهؤلاء ، فلمـــا نزلت سورة الرحمن وقرأها على الصحابة قال : لقد كان اخوانكم الجن أحسن منكم اجابة فقالوا : « نؤمن بكل آية من آياتك يارب العالمين » .

ولذلك كان تحديه بالاعجاز لهما : « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » .

ولقد أعطى كل نبى دعوة مجابة فدعا بها لنفسه وقومه وعلى قومه :

فقال نوح : « **رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمـــؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا** » .

وابراهيم قال : « **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى . ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** » .

وموسى قـــال : « **رب اشرح لى صـــدرى ويسر لى أمرى ...** » .. وغيرهم وغيرهم .. أما محمد فقال عن قومه وهم يؤذونه : اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون .. وسكت فما دعا لنفسه حتى جاءه النداء :

« **انا فتحنا لك فتحا مبينا ...** » ـ « **ورفعنـــا لك ذكرك ...** » ـ « **ولسوف يعطيك ربك فترضى ...** » .

ولذلك قال فى حديث ما معناه : كل نبى أعطى دعوة فدعاها .. أما أنا فقد ادخرتها لأمتى يوم القيامة . حتى اذا ما اجتمع الخلق جاءت كل أمة ومعها شهيدها .

أما محمد الكريم وأمته فشهداء على الخلق جميعا .. ومحمـــد من فوق الجميع شهيد ، وشافع ومشفع وبيده لواء الحمد ويقام له المقام المحمود :

« **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ...** »

« **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** » .

« **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليـــكم شهيدا** » .

« ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء » ٠

« أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا ، وأنا مبشرهم اذا أيسوا ٠ لواء الحمد يومئذ بيدى ٠ وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » ٠

أخرجه الترمذى عن أنس ٠

أما أمته فهى خير أمة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ٠٠٠ »

وأما كتابه فللعالمين جميعا نذيرا ٠٠ ولم يغادره صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ٠ « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ٠ « وانه لكتاب عزيز ٠ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠ تنزيل من حكيم حميد » ٠

ولا عجب فقد كان محمد وكتابه للكون نورا : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » ٠

تلك سطور من الحكمة فى محمد الكريم ورسالته ٠٠ يؤمن بها كل مسلم فيؤمن معها أنه أمام أكرم كائن على الله ٠٠ فهو سراج من الله للكون ورحمته للعالمين ٠

وهى نفس النتائج التى يقررها الحق فى منطق التاريخ ، وموازين علم الاجتماع ، ومقاييس علم النفس وعلم المادة والحياة ٠٠

كما سنرى ذلك فى توفيق من الله ٠٠

والآن لنبدأ من جديد مع هذه المقاييس التى ارتضاها البشر لمقياس الشخصية الانسانية والعبقرية البشرية فى أرفع صورها ٠٠ وسنرى أنها جميعها سطور صغيرة فى أروع صحيفة لكائن فى الوجود ٠٠ فلا يجدون مناصا من التسليم - مع الحق - بأنه الانسان الكامل فى العالمين ٠٠

وسنعجب كثيرا حينما تقرر نفس قوانينهم بأنه - كما قال الصوفية - أول خلق الله نورا ، وخاتم رسل الله نبوة ٠٠

فالى لقاء كريم ٠٠٠

« حسنى شكيبان »

صور من حياة النبي

بقلم : الاستاذ محمد لبيب البوهي

مع النـــاس ..

مما رواه أبو البحترى قال : ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة ، وقيل له وهو فى القتال : لو لعنتهم يا رسول الله ، فقال : « انما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا . »

وكان اذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه الى الدعاء له .. وفى حديث رواه ابوهريرة : قالوا يا رسول الله أن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم وقل هلكت دوس ، فقـــال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم » ..

وما ضرب أحدا قط الا أن يضرب فى سبيل الله تعالى وما انتقم فى شىء صنع اليه الا أن تنتهك حرمة الله .. وما خير بين أمرين قط الا اختـــار أيسرهما الا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة الا قام معه فى حاجته .

جاء فى حديث لأنس : ان الامة من اماء أهل المدينة كانت لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت فى حاجتها .

وقد تقدم انه كان لا يأنف أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى لهما حاجتهما ..

وقال أنس رضى الله عنه : والذى بعثـــه بالحق ما قال لى فى شىء قط كرهه : « لم فعلته » ولا لامنى نساؤه الا قال : « دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر » . وقد روى هذا عن لسان أنس فى رواية أخرى : ما قال لشىء صنعته « لم صنعته » ؟ ولا لشىء تركته « لم تركته » ؟ ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه ، فان عاتبنى أحد من أهله قال : « دعوه فلو قدر شىء كان »

قالوا : وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ، ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرش له اضطجع على الأرض ، وقد وصفه الله تعالى فى التوراة قبل أن يبعثه فقال : « **محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام ، يأتزر على وسطه . هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم ، يتوضأ على أطرافه** »

وكذلك نعته فى الأنجيل ..

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام ، ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف يقول فى ذلك أنس : كان اذا لقى الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر .

معاملته لأصحابه :

وكان اذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها ، سئل أبو ذر : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم اذا لقيتموه قال : ما لقيته قط الا صافحنى .

وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله . وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وأقبل عليه فقال : « ألك حاجة ؟ » فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيده عليهما شبه الحبوة .

وما رؤى قط مادا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد الا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه ، وكان أكثر ما يجلس يستقبل القبلة ..

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ، دخل جرير بن عبد الله على النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ بردته فألقاها فقال : « اجلس عليها يا جرير »

وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته فان أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل ..

وما أستصفاه أحد الا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس اليه مجلس حياء وتواضع وأمانة ..

قال الله تعالى له : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** »

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم .

كان يقول لعمر يا أبا حفص ولعلى يا أبا تراب وقال ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم كناه بابى عبد الرحمن ولم يولد له .

وينادى أيضا النساء بهذا المعنى فيقول يا أم أيمن ، وروى ان عائشة رضى الله عنها قالت له : كل أزواجك كنيته غيرى . فقال : « فأنت أم عبد الله »

وكان يكنى للصبيان فيستلين بذلك قلوبهم ففى الصحيحين من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير : « يا أبا عمير ما فعل النغير » ..

وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا ، ويدل على ذلك اخباره أن بنى آدم خيرهم بطىء الغضب سريع الفىء .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها .

فى مجالس الرسول :

وفى مجالسه لم تكن ترتفع الأصوات ، وكان اذا قام من مجلسه قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك » ثم يقول : « علمنيهن جبريل عليه السلام » ..

محمد لبيب البوهى

* * *

دعـاء ..

للأستاذ الشاعر : محمد هارون الحلو

ربى .. قصـدت وجهكا وما قصـدت غـيركا
فارحـم الهى عبـدكا فالفضـل منك ، ولـكا

* * *

ربى ، وأنت الأوحـد فى الكون حـين تحمـد
لك الجبـاه تسـجد وما سـواك نعبـد

* * *

الـكون يجـرى باسـمكا مستعصـما ، مستمسـكا
والشمس فيض نـوركا فهل عرفنـا قدركا .. ؟

* * *

ما كان الا ما تشـاء فى كل أرض أو سـماء
لك السـنا ، لك السـناء لك العـلا ، والـكبرياء

* * *

يا رب قلـبى يخشـع فى حـيرتى ، ويضـرع
اليـك ربى نفـزع ومن سـواك يسمع .. ؟

* * *

ربى اليـك أوبـتى فى ذلـة ، وخشـية
فهـل تقيـل عثـرتى وهـل تجيب دعـوتى

* * *

يا ربنـا يا ذا الجـلال أنت الـكبير المتعـال
أجب دعانا ، والسـؤال والطف بنـا فى كل حال

* * *

بجـاه خـير المرسلين يا رب ، والروح والأمـين
ندعـوك يا خـير معـين وأنت رب العـالمين

« محمد هارون الحلو »

عمر بن عبد العزيز

الخليفة الصوفى

٣

للاستاذ محمود شلبى

تدخل فاطمة بنت عبد الملك على زوجها أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، فاذا به يجلس مغموما مهموما .

فاطمة : ما بك ياعمر ؟

عمر : كيف لا أحزن وليس هناك من أحد من أهل المشارق والمغارب الا وهو يطالبنى بحقه أن أؤديه اليه ، كتب الى فى ذلك أو لم يكتب ، طلبه منى أو لم يطلبه .

وتتنهد فاطمة فى عمق ثم تقول : أمن أجل هذا تحزن ؟

فيقول عمر :

قد جاء شـــغل شـاغل وعدلت عن طرق السلامة
ذهب الفـــراغ فلا فرا غ الى يوم القيـــــامة

ثم يخرج عمر من منزله الى مسجد دمشق الجامع ، وينهض خطيبا فى الناس : أيها الناس ، من صحبنا فليصحبنا بخمس والا فليفارقنا ، يرفع الينا حاجة من لايستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على مالا نهتدى اليه ، ولا يغتابن عندنا أحدا ، ولا يعرضن فيما لايعنيه .

وكان المسجد يموج كعادته بالعلماء والشعراء ، فما أن سمع الشعراء مقالته حتى انفضوا عنه ، وعلموا ألا مغنم عنده ولا مطمع فى عطائه ، بينما اقترب منه العلماء وفرح به العباد .

وقال عمر مخاطبا أهل العلم والتقوى ممن بقى أمامه : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بى ، فما عندكم ؟

فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أبا ، والشاب أخا ، والصغير ولدا ، وبر أباك ، وصل أخاك ، وتعطف على ولدك .

ثم أتبعه رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهت ان يؤتى اليك فلا تأته اليهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت .

فأتبعه آخر : اجعل الامر واحدا ، وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل فطرك فيه الموت .

فقال عمر : لا حول ولا قوة الا بالله

فتأمل خلق عمر بن عبد العزيز ، وكيف كان ينحنى للموعظة الحسنة والكلمة الطيبة .

على أن أروع ما تألقت فيه نفسية عمر بن عبد العزيز بعد أن ولى الخلافة هو هذا الموقف .

حاور عمر زوجته فاطمة وجعل يجادلها فى امر أموالها وجواهرها ومصاغها ، فقالت أنه من مالها الخاص .

فقال عمر : لولا أنك بنت الخليفة وأخت الخليفة ما كان لك اليها من سبيل .

وما زال يحاورها ويداورها ويخيرها بين أن تختاره أو تختار الابقاء على هذه الاموال ، حتى نزلت على رأيه واقتنعت وردت اموالها كلها الى بيت المال .

ولم تقف القصة الرائعة عند ذلك الحد ولكن امتدت الى شىء أعمق من ذلك وأمس بأوطار القلوب .

قال عمر : يافاطمة بنت عبد الملك ، انى قد أصبحت فى شغل شاغل بأمر هذه الخلافة ، وانى وان كنت من قبل أستطيع اداء حقك اليك ، أما الآن فانى فى شغل بالناس عنك ، فان شئت ان تعاشرينى على ذلك فأهلا ، والا تعالى أسرحك سراحا جميلا .

ونادى عمر فى جواريه بعد أن اجتمعن اليه ، وخيرهن بين الدار الآخرة وزينة الدنيا .

بين أن يبقين عنده ولا حق لهن عنده من المتعة وبين أن يسرحهن سراحا جميلا .

وانتحب النسا وولولت الجوارى ، ولكنهن كلهن اخترن البقاء مع عمر ، ولم يشترطن عليه ما كن ينلنه منه من متعة قبل الخلافة

موقف رائع ، وصوفية عالية ، وروح مشرقة اشراقا شديدا .

من من الناس يستطيع ذلك ؟ . من يستطيع أن يعرض عن زوجاته جميعهن من أجل أعباء الخلافة ؟ ..

لا أحد .. الا أن يكون مثل عمر ! .

وبدأ عمر يصلح ما أفسده بنو أمية من قبله .

كانت المنابر حين ولى عمر مأمورة ان تسب عليا رضى الله عنه فى خطبة الجمعة ، فما أن ولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حتى بعث كتابا الى ولاته فى مشارق الارض ومغاربها ، يأمرهم فيه أن ينتهوا عن ذلك الامر القبيح ، وأن يقولوا بدلا من سباب على رضى الله عنه . **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** »

وامتدحه الشاعر كثير عزة فى ذلك فقال :

ولیت فلم تشتم عليا ولم تخف
بريا ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وانما
تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذى قلت بالذى
فعلت فاضحى راضيا كل مسلم

فعقب عمر على مقالة الشاعر : أفلحنا اذا ياكثير عزة . جزاك الله خيرا .

ونظر أمير المؤمنين فرأى أن الامبراطورية الاسلامية فيها ولاة من آثار بنى أمية ليسوا هم الصنف الذى ينبغى أن يكون فى مقام الامامة من الناس .

فواصل اصدار أوامره العليا .

يعزل يزيد بن المهلب عن العراق ويعين مكانه عدى بن أرطأة الفزارى على البصرة ، ويعين على الكوفة عبد الحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب .

يعين على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمى .

يعين على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

يعين على المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

يعزل عن ولاية مصر عبد الملك بن أبى وداعة ويولى عليها أيوب بن شرحبيل .

يعين للافتاء جعفر بن ربيعة ، ويزيد بن أبى حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر .

يعين على افريقية وبلاد المغرب اسماعيل بن عبد الملك المخزومى

وتعتبر هذه الحركة حركة ثورية من عمر بن عبد العزيز ، انه يعزل ولا يبالى ويولى ولا يبالى .

ولو كان أحدا غيره خشى على نفسه أن يتكتل عليه المعزولون ويعزلوه هو، ولكن عمر لم يكن حريصا على الخلافة ، من اجل ذلك عزل هؤلاء جميعا ولم يخشى الا الله ، فخافه هؤلاء جميعا وذلوا أمام ربانيته .

وتلك صوفية أخرى لعمر بن عبد العزيز . وقوة شخصية لايستطيعها الا من كان له قلب من نور كنور عمر بن عبد العزيز .

ولم تقف قوة الحق المنطلق فى نفسية عمر بن عبد العزيز عند تلك الآفاق التى لا يستطيعها الا طراز الهواة المهديين من الرجال ، ولكن ذهبت الى أبعد من ذلك .

ان هناك نفرا من بنى أمية قد أثروا ثراء فاحشا مما كان فى أيديهم وايدى آبائهم من السلطة والجبروت

فلا بد من رد هذه الاموال جميعا الى بيت المال .

ولتغضب بنو أمية ، وليفعلوا ما شاءوا ، ان الله معه وحسبه .

وجمع عمر أمراء بنى أمية فى داره، وكان ممن حضر فاطمة بنت مروان عمته وذات الراى النافذ فى بيت الأمويين .

وقال عمر : لا بد من رد ما بيد أمراء بنى أمية الى بيت المال .

وصاح المجتمعون : كيف ولما ؟

قال عمر : لولا ما كان فى يدكم ويد آبائكم من سلطان ما اجتمع لكم كل هذه الاموال . فهى حق لبيت المال .

وقالت فاطمة عمته : ولكن يا عمر ... أحذرك سطوة بنى أمية .

عمر : شىء ليس فى تقديرى .

فاطمة : ان هناك آخرين كثيرين غير بنى أمية عندهم من الاموال ما يفوق أموالنا .

عمر : ينبغى ان نكون قدوة للناس .

فاطمة : وهل فعلت أنت ذلك يا عمر ؟

عمر : تعلمين أن دخلى السنوى كان قبل الخلافة أربعين الف دينار ، وانى تنازلت عنها كلها لبيت المال منذ وليت هذا الامر

فاطمة : أنت تنازلت وغيرك لا يريد ذلك .

عمر : ليس الامر أمر رأى وهوى ، انى آمركم ان تنزلوا عن أموالكم ، وتردوها الى بيت المال ، شئتن أم لم تشاءوا .

وضاقت صدور الحاضرين ، ونظر بعضهم الى بعض .

فقال عمر : والله لو أقمت فيكم خمسين عاما ما أقمت فيكم الا ما أريد من العدل .

(يتبع)

« محمود شلبى »

الدين والانسانية

تعريب الاستاذ كمال الشماهد

الدين يعلمنا كيف نحتفظ بالكرامة وكيف نحافظ على قيمتها الانسانية انه يحدد القوانين الثقافية والاخلاقية والاجتماعية . ولقد قهر الانسان العالم المادى وطرق أبواب الاسرار الروحية فان لم يتخذ الدين له نبراسا فسيكون جاهلا بذاته نفسها ولن ينجح أبدا فى تحصيل معرفة ، كما لن يشعر بلذة الفوز اذا ما حقق احدى غاياته العلمية . كذلك الانسانية لتتقدم أو تحقق أى غرض من أغراضها لولا الدين . ان الانسان لايستطيع الا أن يشعر بالشكر والامتنان للدين .

ومن المعروف الواضح المصطلح عليه أن الدين انما أنزل اصلاحا للاخلاق وتقويما للفضائل وها نحن أولاء نرى أن العالم قد تقدم الى حد الزعم بأن كل فرد من أى بلد أوجنس اذا فهم فهما تاما أهمية الاخلاق فلا حاجة به اذن الى الدين . وان نحن سرنا وهذا الزعم فالنتيجة الحتمية له أنه لن يكون هناك خطأ كما سيصبح كل شىء حقا وجائزا كما يعنى أيضا أن ثورات العالم الدينية لم يكن لها أثر فعال وانما جاءت ومرت مر الكرام .

ويتبع ذلك ـ اذا بقى هذا الفهم دون أن ندحضه ـ أمر جد خطير هو سيادة الالحاد . وعلينا أن نودع الشعور الدينى ونكفن الاحساسات الدينية ويبدو أن كل ذلك أمرمستحيل لانه سيكون فى نضال ضد القانون السماوى وما من انسان جرؤ على تحدى هذا القانون أو حاول تحطيم قوانين الطبيعة الا وأصابه القدر المحتوم برزء عظيم .

ان هذا النظام الذى تسير عليه المخلوقات ودستورهم الدائم الثابت انما يدلنا على حقيقة واقعة : انه لابد من وجود قوة قادرة تحكم العالم .

ان السفينة سواء أكانت تسير على مياه هادئة وادعة وقد طابت لها الرياح وأسلس النسيم لها قياده أو كانت فى لجج من الامواج تتقاذفها وسـط عواصف هوجاء تزأر من حولها ، هذه السفينة فى كلتا الحالتين لابد لها من قائد ، كما أنه لابد للقاطرة من سائق ان هو تركها لم تتحرك من مكانها قيد أنملة ، فاذا كانت هذه حالة بعض الآلات الصغيرة ، فما بالنا بالآلة الكبرى آلة العالم وكيف لها أن تسير دون اشراف .

ولنضرب مثلا : معهدا اكتمل له طلبته وأساتذته فهل نضمن حسن السير فيه ان لم يكن له رئيس ؟ فوجود الرئيس يضمن النظام ورفع مسـتوى المعهد . وكذلك ادارة العالم تتطلب « أحدا » يقوم بهذا العمل السامى العظيم فهو الله الذى خلق العالم وهو المتصرف المطلق فى الحياة والموت .

ومن هنا نرى بوضوح الأهمية الكبرى للصلة بين الله وبين الانسانية هذه الصلة نسميها « الدين » . والدين هو المعيار الذى نعرف به أعمـال

الانسان ، هل أعماله صالحة ، أم طالحة ، هل هو فاضل أم شرير ، تراه يسير على أى صراط : صراط قد استقام أم صراط قد اعوج ·

والعلاقة بين الدين والانسانية علاقة قديمة ليست بالجديدة قد وجدت منذ وجد الانسان على سطح الارض بل من يوم خلقت الارض ذاتها ·

وكان الدين فعالا فى تحطيم الظلام فهو لم يحفظ الصلة المدنية بين الكائنات البشرية فحسب بل وزاد فيها ·

واذا لم يكن هنالك دين فان الانسانية ولا ريب لم تكن لتوجد،أى ان وجود الانسان مترتب على وجود الدين ، وما كان هناك تمايز أو اختلاف بين كائن انسانى وبين حيوان ، ويتهم قلائل من المغالين فى مدنيتهم الحديثة والمستعربين الذين يقاسون الكثير من جرعات المدنية ويشعرون بضعفهم ، يتهم هؤلاء الدين بأنه عقبة كأداء فى طريق التقدم ويفترضون افتراضا خاطئا أن الدين يقف حجر عثرة فى طريق رقى البلاد والمجتمع · ولو أنهم فهموا الدين فهما صحيحا وأخذوه بمعناه الحقيقى لما نادوا بمثل هذه الآراء الخاطئة ، فهم اما أخطأوا الفهم عن غير قصد ، واما أنهم أغمضوا عيونهم قصدا دون الحقائق ، فاذا كانوا أخطأوا عن غير قصد فسنحاول أن نحررهم من سوء فهمهم ، وان كانوا قاصدين فلا حيلة لنا معهم · ان لكل سؤال جوابا منطقيا، ولكن ليس للجهل أو التعامى عن الحقائق أية أجوبة ·

والعالم اليوم يبحث — فى سبيل خلاص الانسانية — عن الرضاء الروحى ، وهذا الخلاص لن نصل اليه أبدا الا عن طريق الدين ·

اذا أراد الانسان أن يكون حرا فلندعه كذلك على أن نحذره ألا يقيم دعائم حياته على عادات وأخلاق حيوانية ، فالحيوان يذهب فى أى وقت يشاء حيثما يريد ، فليس ذهابه هذا راجعا لاحد أعماله فهو يجول خلال الغابات أو يجرى عبر السهول دون حدود له أو قيود أو قانون يمنعه ويحده ويوجهه ·

وليس ثمة معنى فى انسان يتجاهل أحكام الدين وقواعده مقلدا للحيوانات ، فان العقل والتفكير والاحساسات والشعور سواء أصدرت عن عقله أو خرجت من قلبه أو كانت نتيجة لروحه الشاعرة لن تمكنه فى سهولة من أن يتجاهل الدين ، فالدين ليس شيئا عاديا بل هو أمر يحول الحياة الانسانية الى حياة مشوقة بهيجة · انه بالنسبة للانسان ضرورى حتى قيام الساعة لقد دفع الدين الانسان الى ما هو عليه من قدرة واقتدار ، وفاض عليه بأسرار النفس ، تلك الاسرار التى لا يستطيع الفرد بدونها أن يحقق النجاح فى حياته ولا تستطيع أمة أن تسير دونها فى طريق التقدم ·

لقد تقدمت العلوم وبلغت ذروة التقدم فى العصور الحديثة ، ولكن هل أثر هذا التقدم — على أى وجه — فى الانسانية ؟ هل سارت الانسانية قدما ؟

ان أردنا جوابا شافيا فعلينا أن ننظر الى هذه الفوضى الضاربة أطنابها التى سادت بعد الحرب العالمية الثانية وهى حرب بلغت العلوم فيها أقصى

درجاتها . فقد اخترعت الاسلحة المهلكة واستعملت بقسوة ـ ليست بعدها قسوة ـ فى تدمير سلام ورفاهية العـــالم . ومنذ ذلك لا يتوقع الانسان عودة سعيدة الى أحوال السلام أو الى الحياة العاذية الهانئة . لقد اضمحلت المدنية والرحمة فى قلوب البشر واختفى التسامح وحطمت المثل الاخلاقية . ويقول الشاعر « اقبال » وما أصدقه فى قوله :

« ان حكم الآلات فيـــه موات القلوب :

فقد سحقت الأسلحة المشاعر النبيلة »

وهناك سبب واحد لكل هذه الحوادث المؤسية والفعالة القاسية وهـذا السبب هو أن الالحاد سار خطوة فخطوة مع العلم .

ان المعرفة المحدودة والتجارب الناقصة التى جنيناها من الابحـــاث العلمية قد أسميناها ـ خطأ ـ قوانين طبيعة دائمة . والانسان اذ ظن أنها كل شيء لم يعد يعبأ أن يفكر ولو للحظة واحدة فى هذه القوة ذات السلطة المتعالية التى تستطيع أن تحطم وأن تدمر هذه الاختراعات العلمية .

ان القلب البشرى قد امتلأ بالرغبات النبيلة والعظيمة ولكننا فى لحظة واحدة ولظروف طارئة نرى هذا القلب وقد طرح جانبا أنبل ما فيـــه من احساسات وأعظم ما عنده من رغبات . ان الانسان ليبنى قلاعا فى الهواء ولكنها ما تلبث أن تتحطم فى لحظة واحدة كأنما هى قصور على الرمال ، وهو مع ذلك كله وعلى الرغم من تجاربه وملاحظاته وضعفه وعدم قدرته لا يترك خيلاءه ولا كبرياءه .

ان سلاح الالحاد هو العقل ولكنه سلاح عاجز أن يصل الى أبعد الحدود ، لقد ظنوا الرأس هو كل شيء ، بينما تركوا القلب للذئاب ، فبجلوا المادية وتجاهلوا الروحية ، فكانت نتيجة هذه الحمى وهذا السعى وراء الالحـــاد والمادية هى اختفاء الفضائل ، فذهبت فضيلة التســـامح والعطف والحب والطاعة ، بينما حل محلها حصاد من القسوة والبغضاء والوحشية والخيانة والثورة . ان الترياق الفريد لكل هذه الرذائل انما هو الدين .

يضل الانسان فى كل نواحى حياته ويضل العالم فى كل أوجه نشاطه فلا يعرف هذا ولا يعرف ذاك الطريق القويم الا عن طريق الدين . ان مثل من يهجر دينه مثل مسافر دون دليل فى أرض كثيرة المتاهات يتبع عن غير هدى الطريق الذى لن يصل به البتة الى غايته ، واذا به يرى نفسه فى النهاية يائسا مدحورا . **ان الطريق الصحيح القويم هو أن نتبع الاوامر والاحكام السماوية وهى وحدها التى تستطيع أن تسير بالانسانية نحو الهدف النبيل والغرض السامى .**

الواجب علينا اذن ، ألا نســـير مع الادعاءات الجوفاء والنظريات المادية الخادعة ، تاركين الدين والاحكام السماوية وراء ظهورنا .

سورة المدثر

لسيادة الأستاذ السيد صلاح الدين السلجوقى
سفير الافغانستان

« ألقى سيادة الفيلسوف المسلم الاستاذ صلاح الدين السلجوقى سفير الافغانستان ، كلمة بدار المؤتمر الاسلامى ، عن ذكرى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، عرض فيها ، لتفسير سورة « المدثر » وهى من طلائع السور التى جاء بها الوحى ليضىء بها أمام الرسول طريق الدعوة والجهاد ، فأعطانا لونا جديدا من التفسير العميق المثير ، وقدم منهجا من مناهج الفكر والمعرفة ، يفتح أمام العقول أبوابا وآفاقا » .

(ياأيها المدثر) بدثار من التقاليد والأوهام الراسخة فى المحيط الاجتماعى الجاهلى الذى أحاطك من أطرافك كثوب لا يليق بشخصك المصطفى لأنك خليفة الله فى الارض ولأن روح الله فيك ، فعليك أن تزيل هذا الدثار وتمزق هذه الفترة .

(قم فانذر) ، أى انهض ونبه بنى آدم ، بالنقد والتبصرة ، الى عواقب الاوهام ومغبة العوائد الخرافية ، وارشدهم الى الحقائق الثابتة من المبادى الخالدة ، مبدأ الخير ، ومبدأ الحق ، ومبدأ العلم ، ومبدأ العدل .

(وربك فكبر) ، لأن هناك أهوالا من الطبيعة ، وسلطات وتغلبات من المجتمع ، وحولا وقوة من دون الله . فكبر الله رب الأرباب وحده ، ولا تخضع لأى حول أو قوة غير حول الله تعالى وقوته .

(وثيابك فطهر) ، فخرقة الجبن والفجور والبخل والسفاهة لا تليق بأهل الحق أن يدثروا بها . وان لباس التقوى ورداء الشجاعة والكرم وأزار العفة وقناع القناعة ، هو خير .

(والرجز فاهجر) الرجز هو الرجس والأوثان . ان هنالك أوثانا ميتة ، وأخرى حية . فالاوثان الميتة هى التماثيل المنحوتة للعبادة . أما الاوثان الحية فهى زمرة المستولين على أراضى الله ، والغاصبين لحقوق البشر دون حق أو سلطان من الله . فالانبياء عليهم السلام جاهدوا وناضلوا لمحاربة الاوثان الحية أكثر مما جاهدوا وناضلوا لمحاربة الاوثان الميتة . ان جهاد سيدنا ابراهيم عليه السلام ضد نمرود كان أعنف وأقسى منه ضد الأصنام . وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام ، لقد قضى على الاوثان الميتة عندما فتح مكة ، وانتهى أمره منها . ولكن جهاده وجهاد دينه ضد الأوثان الحية من الظلم والاستبداد والاستعباد والاستثمار قد طال وامتد ، ولا يزال مستمرا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

(ولا تمنن تستكثر) . لقد كانت القيم الاخلاقية ، الى حد ما ، تهدف الى أحد الاهداف المادية التى تنتهى أخيرا الى نهاية نفعية . فمثلا كانت غاية الاخلاق عند سقراط وأفلاطون هى الخير الاعلى .

وكانت عند أرسطو هى السعادة . وكلتاهما فى نهاية الشوط كانت غاية مادية من طبيعة نفعيـــة . ولكن أول ما قيل « الوظيفة لأجل الوظيفـــة Buty for the Sake of Duty. فمثـــلا كانت غاية الاخـــلاق عند سقراط وأفلاطون هى الخير الأعلى summum Bonum كان ينبوعه الاعلى من وحى هذه الآية الكريمة . وهذا هو معنى ما قيـــل « تخلقوا باخلاق الله » ذلك لأن أخلاق الله تعالى وفعله ليست لغرض خارج عن الفعل . فالله تعالى خالق لأنه خالق ، ولطيف بالعبـاد لأنه لطيف ، لا لهدف آخر . فأصحاب الضمير يسلكون سبيل الحق والخير لا لجلب نفع أو لدفع ضر ، بل لأجل الحق والخير اللذين هما مظهران من مظاهره جل وعلاه .

(**ولربك فاصبر**) ولكن مبدأ « الوظيفة لأجل الوظيفة » كما ادعاه ايمانويل كانت ، لا يعين للعمل الاخلاقى هدفا أو محـركا . ولذا رأى الفيلسوف المذكور ضروريا أن يعتقد بالحكم المطلق للوظيفة

ولكن الحكم المطلق لا يمكن أن يصدر عن الوظيفـة اذا كانت انســـانية محضة . ولم يكن الحكم ليصدر عن مبدأ ميتافيزيقى سام سرمدى .

وهذا كان السبب فى أن الفيلسوف « كانت » فى آخر الشوط ألزم على نفسه أن يعترف بالوجود الأزلى والواجب وبخلود الروح .

فهذه الآية الكريمة تشير الى أن الحكم المطلق للوظيفة صادر عن منشأ روحى قدسى أزلى أبدى ، هو ربنا الذى يصعد اليه الكلم الطيب والعمـل الصـالح .

ففى تلك الآيات القصار السبع ، التى لا تتجاوز كل واحدة منهـــا كلمتين ، نرى دستورا جامعا كافيا مستوعبا لجميع شـؤوننا الاجتماعيـة والفردية .

فالانسان ، أول ما يفعل لتهذيب نفسه واصلاحها ، أن يخـــرج من القشرة البالية التى كونها محيطه المتدهور البالى . م

ثانيا : انه ينهض ويقوم . ولكن نهوضه لا يمكن أن يتحقق بغير نقد المكاره الفردية والاجتماعية . ذلك لأن آلة المصلح انما هى النقد والانذار .

ثالثا : يعين هدفه ومبدأه ومثله الأعلى .

رابعا : يطهر قلبه وسريرته من كل الاغراض الدنيئة ، ويجعل نضاله وأعماله خالصة للمبدأ والهدف والوظيفة .

وبعد ذلك يقوم بالخطوة الخامسة وهى الحملة على الظلم والطغيان ، وعلى الطاغوت ، وعلى الأرباب من دون الله ، كى يتغلب عليهم ويجعل كلمة الله من الحق والعدل والخير ، هى العليا .

وسادسا : يعمل كل هذا . لا منا ولا أذى ، ولا سعيا وراء مغنم مادى أو مجد دنيوى ، ولكن لأجل المبادىء والوظيفة ، وابتغاء وجه الحق والخير الذى ينتهى الى الله الذى هو المثل الاعلى والهدف الأسمى .

سابعا : يعين للعمل الأخلاقى سندا قويما سرمديا ومصـــدرا قدسيا للأمر المطلق للوظيفة ، من رب العالمين ومالك يوم الدين .

ندوة الاسلام والتصوف

(بقية المنشور على صحيفة ٣٤)

واذن فمأساة الحلاج ، لاتنال من كرامته ، ولاتنسب الى غضب الله سبحانه عليه ، بل هى من علامات المؤمنين المجاهدين

● الدكتور محمد مصطفى حلمى :

النقطة الثانية التى ارجو ان يفصح عنها الدكتور غلاب هى : رأى العلماء الغربيين فى الكرمات .

والواقع ان الذى نشاهده الآن على الرغم من تقدم العلوم المادية ، أن بين العلماء الطبيعيين الذين يشتغلون بالمادة قوما اقبلوا على الروح واشتغلوا بالروحية اشتغالا فاق فيه بعضهم من تخصص فى أمر الروح فانتهوا الى ان المادة التى يعملون فيها بأيديهم وعقولهم وتجاريبهم ليست هى كل شىء ، وليست هى الشىء الذى له القيمة ، وانما هناك شىء آخر ، أعز من هـذا وأروع ، ولعله الذ وامتع ، الا وهو تلك الحياة الروحية ، التى تصفو فيها النفس ، ويدق فيها الحس ، ويصبح فيها الانسان أدنى ما يكون الى الاتشاح بوشاح الهى يمكن له من رؤية أشياء لايستطيعها من لم يتحقق بمثل ماتحقق به ، ومن هنا نستطيع ان نقول : ان العلم المادى نفسه بكل ما أوتى من وسائل البحث وأدوات الدرس لايستطيع بحال ما أن ينكر أن فى العالم قوة أقوى ، وروحا اسمى من هـذا الذى يقف عنده الماديون ، دون أن يجاوزوه الى ماورائه من عالم ماوراء الطبيعة

واذا كان بعض العلماء الماديين يفسرون الكون تفسيرا ماديا ، فان هناك أضعافا مضاعفة لهذا الفريق ، يفسرون الكون بأسرار هى من صميم العالم الغيبى ، وهى منح من لدن الله سبحانه اكثر من ان تكون مصنوعات للانسان

واذا كان الأمر كذلك ، فأظن أن ذلك العلم الروحى مضافا الى العلم المادى يتضافران وينتهيان الآن الى ان ماهو معجزة لنبى ، وما هو كرامة لولى ، هما أمزان مقرران تحققهمـا العقول التى وقفت عند المـادة ثم جاوزتها الى الروح ، والقلوب التى صفت منذ بدايتها حتى انتهت الى ذلك الملأ الاعلى ففاض عليها من نوره نورا ، ومن سره سرا ، استطاعت به ان تلمس الحقائق العليا .

● الدكتور محمد غلاب :

أنا موافق تماما على قول الدكتور حلمى من أن هناك قوما من العلمـاء وصلوا الى من يقول بقـوى الروح . ولـكن هؤلاء الواصلين أقليـة والمنكرين أكثرية ، والانكار قد ساد وانتشر حتى غزا بعض شباب الجامعات وأصبح علما على كثير من المثقفين عندنا .

● **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

ليست المسألة أقلية واكثرية ، المهم ان الاتجاه الى تفسير الكون تفسيرا ماديا لم يعد هو كل شيء . والقليل قد يكثر ، وعندئذ تتحقق الفكرة الروحية وتنتظم الحياة على وجه خير من الوجه الذى تسير عليه الآن .

● **الدكتور محمد يوسف موسى :**

ماهى الفائدة من انكار المنكرين للكرامات ؟ أو من اثبات المثبتين لها ؟ ماهى الفائدة ، الا اذا كان الذين يثبتونها يجعلون ذلك مقدمة لاثبات معجزات الانبياء

والمسألة قد اثيرت وبشدة بين الامام الغزالى والفلاسفة تحت عنوان « الاسباب والمسببات »

هل يستطيع انسان ما ، ان يحدث شيئا عادة لايحدث الا عن سبب ، هل يستطيع ان يحدثه بلا سبب ؟

ثار هنا الخلاف بين الغزالى والفلاسفة ، ثم أثاره ابن رشد وهو يرد على الغزالى ، وأثارته ايضا الفلسفة الاوربية وتعرضت له فى جدل وحوار طويل .

واثبات ان الشيء يمكن ان يحدث بلا سبب معناه ان الله سبحانه يصطفى من يشاء من عباده ، فيجرى على يديه خارقة بقدرته سبحانه . وهذا ان جاء على يد غير رسول يسمى وليا ، وان جاء على يد نبى يسمى رسولا

والذى يجعل بعض الناس ينكر الكرامات ، هو فى الواقع عدم فهمهم للعلاقة الواجب أن تكون بين المادة والروح من ناحيه ، وبين الانسان والله من الناحية الاخرى .

فمسألة عمر بن الخطاب رضى الله عنه مثلا ، لما هتف ياسارية الجبل ، هذا الانكشاف البصرى ، وهذا الجلاء السمعى ، الذى حدث رغم المسافات والابعاد الطويلة ، انما حدث بقدرة من الله سبحانه

ان الانسان عندما تزول الكثافة المادية ، عند تجلى الله عليه فى المنام أو فى اليقظة ، فى هذه الحالة بيقين تنفك الروح من اسر المادة ، فيرى الانسان وهو نائم ويقظان ، يرى ما لايمكن ان يراه الانسان العادى ، بل ويصدر منه تسخير لعالم الافلاك ، والعالم الارضى .

ولكن أهو وقف على المسلمين ؟ أم هو جائز للناس كافة ؟ ان ما حصل ويحصل من بعض الهنود يدل على انهم وصلوا بتجريد الروح الا انيسيطروا على عالم الطبيعة ، أو عالم الافلاك .

فالمسألة اذن مسألة روح انفك اسارها فأصبحت طليقة ترى مالا يرى غيرها : «**قل الروح من أمر ربى**» : وهى فى حالة تصفيتها وتجردها تستطيع ان تفعل مالا تفعله اى قوة اخرى من قوى المادة

فالنتيجة العملية ، انه لايجب بحال ما ، ان ننكر كرامة الولى ، فقد ثبت ذلك ثبوتا تاريخيا ، وثبت ثبوتا فلسفيا ، كما قال الاساتذة الآن ، واما انكارها فقد يؤدى الى هدم الايمان بالمعجزة ، والى هدم الايمان بقدرة الله

بقيت نقطة ، هل ياترى من الخير ان نفرط فى الاعتقاد بالكرامات ، أو نصدق كل من يدعى الكرامة ؟

ان هذا قد يؤدى بنا الى ان نعتقد بالدجالين والمهرجين، والى الايمان بهذه الدعوة الباطلة التى تقول بان الرزق يأتى من غير عمل ، وان الاشياء تحدث بغير سبب ، وهو أمر جد خطير .

المبدأ ـ مبدأ الايمان بالكرامات ـ ثابت بيقين علما وتاريخا ، وإنكاره يؤدى الى انكار قدرة الله سبحانه ، وانكار قدرة الروح

انما يجب ان نكون على حذر ، فلا نفرط فى التصديق ، ولا نلقى بثقتنا الى كل مدعى .

● **الاستاذ محمد لبيب البوهى :**

الكرامة هى تكريم من الله سبحانه ، لعباده الصالحين المتقين ، فلا مجال لانكارها ، انما الواجب علينا أن ندقق ونمحص ، فقد تسلل الى هذا المحراب الطاهر بعض المغرضين المستغلين، فزيفوا على الناس بعض دجلهم ، وزعموه كرامة وولاية ، واتخذوا من ذلك طريقا للاعلان والدعاية .

● **الدكتور محمد غلاب :**

الولاية اذا ادعاها مدعى وهى فيه فقدأثم ، واذا ادعاها من ليست فيه كفر، هذا هو شرط القدامى للكرامة . وهو مقياس دقيق .

● **الاستاذ طه عبد الباقى سرور :**

لقد أثار الاساتذة فى بحثهم الجليل القيم ، نقاطا متعددة ، أحب ان اسهم فى تجليتها

فالحلاج شهيد التصوف الاسلامى ، وبطل المأساة التاريخية الكبرى ، لم يفش سر الربوبية ، بصنعه لتلك الكرامات التى عرف بها وأثرت عنه، واجمع الثقات من رجال التاريخ على انها أحدثت دويها الهائل فى دنيا الناس يوم ذاك ، كما اجمعوا على انه دعا الناس الى ربهم وانه اسلم على يديه طوائف من الخلق داخل الامبراطورية الاسلامية وخارجها .

والكرامات ليست من الاسرار التى يعاقب صاحبها اذا أحدثها أو نشرها على أعين الناس ، انها عطايا وهبات من الله جل جلاله ، والله سبحانه لا يعاقب عبداً على ما كرمه به ، وأفاضه عليه. .

ان مأساة الحلاج مأساة سياسية ، لقد كان يقاوم نظام الحكم الملكى العباسى المستبد المنحرف عن الاهداف الاسلامية العليا ، كان يحارب فساد

الحكم والانحراف الذى دخل على العقيدة وبعد بها ، كما يقول : عن روح الصدر الاول من الاسلام ، روح العبادة والبطولة .

وحتى خصوم الحلاج الذين نسبوا اليه ، اباحة الاسرار الالهية ، أو سر الالوهية ، لم يقصدوا بذلك ما كان يجرى على يديه من كرامات ، وانما قصدوا بذلك محاولة الكشف عن صلة الله سبحانه بعباده ، وأسراره فى خلقه !؟

وقولته المشهورة : « أنا الحق » اعتبرها أئمة التصوف ذروة عالية من ذرى الايمان الشامخة .

ويقول الامام الغزالى عنها : « انها خلاصة التوحيد » ويقول الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى فى الفتوحات : « انها عقيدة أهل المشاهدة والذوق » .

انها فى نظر رجال التصوف لا تحمل هذا المعنى الذى يتبادر الى عقول المحجوبين معنى الحلول أو الاتحاد انها لتعبير عن مقام من مقامات الفناء ، انها تذوق رفيع لحقيقة القدرة الفاعلة السارية المحركة لكل شىء فى الوجود القائمة بكل شىء فى الحياة .

اما مسألة الاسباب والمسببات التى اثيرت بين الغزالى والفلاسفة ، فحقيقتها ان التصوف الاسلامى ، لاينكر الاسباب ، كما يتبادر الى بعض الناس ، ولكنه لايقف معها .

انه ينفذ ببصره الى رب الاسباب سبحانه ، أو كما يقول الامام الغزالى : « الاسباب ظواهر تلازم الشىء وليست هى علته » أى أنه لابد من السبب الظاهر . ولكن حقيقة الفعل هو لرب كل شىء وخالقه ، أى تماما كماورد فى الحديث الشريف الذى أرشد الى أن الكافر هو الذى يقول امطرنا بنوء كذا . أما المؤمن فيقول ارسل الله الينا الغيث وانزل الله المطر .

والكرامة الحسية المادية مع جلالها ليست شيئا فى ميزان التصوف الحقيقى انها كما يقول محيى الدين ، لعب يلهو بها الاطفال . أما الرجال الكبار فالكرامة الحقة عندهم هى حفظ دينهم واوقاتهم وانفاسهم ، ودوام الرضا والحب عليهم من رب السموات والارضين .

الخلاصة

الكرامة وهى أمر خارق للعادة ، يجريه الله سبحانه على يد عبده الولى التقى ، للتثبيت والتكريم ، واعزاز العقيدة واجلال رجالها . من الامور التى وردت فى الكتاب والسنة ، واتفق عليها العلماء والفقهاء ، ورجال الفكر والعلم .

وانتهت الندوة فى تمام الساعة العاشرة على أن تعقد فى الشهر القادم باذن الله .

في ذكرى الامام الحسين :

فاطمة الزهراء

لشاعر باكستان العظيم

محمد اقبـــال

نسب المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراهـــا
والمجد يشرق من ثلاث مطـــالع ... فى مهد « فاطمة » قما أعلاهـــا
هى بنت مـن ؟ هى زوج مـن ؟ ... هى أم من ؟
من ذا يدانى فى الفخار أباهـــا

هى ومضة من نور عين المصطفى ... هادى الشعوب اذا تروم هداهـــا
ولزوج فاطمة بسورة « هل أتى » ... تاج يفوق الشمس عند ضـــحاها
أسد بحصن الله يرمى المشـــكلا ... ت بصقيل يمحو سطور دجاهـــا
فى روض فاطمة نمـا غصنان لم ... ينجبهما فى العنبرات سواهـــا
فأمير قافلة الجهـــاد وقطب دا ... ئرة الوئام والاتحـــاد ابناها
« حسن » الذى صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقها يحـــل عـراها
و «حسين» فى الأبرار والاحرار ما ... أزكى شـمائله وما أنداهـــا
فتعلموا رى اليقـين من الحسـين ... ن اذا الحوادث اظمـأت بلظاها
وتعلموا حرية الايمـــان مـــن ... صبر الحسين وقد أجاب نداهـا
ما سـيرة الأبنـاء الا الأمهـا ... ت فهم اذا بلغوا الرقى صـداها

***

هى أســوة للامهات وقـدوة ... يترسم القمر المنير خطـــاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضى الزوج الكريم رضاها
فمها يرتل آى ربك بينمـــا ... يدها تدير على الشعير رحاهـــا
بلت وسادتهـا لألىء دمعهـــا ... من طول خشيتها ومن تقواهـــا
جبريل نحو العرش يرفع دمعهـــا ... كالطل يروى فى الجنان رياهـــا
لولا وقوفى عند أمر المصـــطفى ... وحدود شرعته ونحن فداهـــا
لضيت للطواف حول ضريحهـــا ... وغمرت بالقبلات طيب ثراهـــا

من أسئلة القراء

● الزواج من اخوات الرضاع

تلقينا من السيد / عوض رضوان • من كوم العبد • محطة دسونس الحلفاية بحيرة • السؤال التالى :

« لى ابن أخت رضع من زوجتى مرة واحدة ـ رضعة مشبعة ـ وهـذا الرضاع كان مع البنت الكبرى • ويريد الزواج من الأخت الصغرى • فهل يجوز هذا • أم يحرم ؟

واذا كان أحد المذاهب الفقهية يجيز ذلك ، ويحرمه مذهب آخر ، فهل أكون مرتكبا اثما اذا أخذت بمن يحل ذلك •؟ »

الجواب :

الرضعة الواحدة ولو جرعة ، تحرم الزواج عند المالكية على رأى ظاهر عندهم •

وعند الشافعية يشترط خمس رضعات متفرقات ، وقد انقسم الفقهاء الى قسمين ، يؤيد كل قسم أحد الرأيين ، والقرآن الكريم لم يحـدد نوع الرضاع ولا مقداره ، ولاعدد مراته ، بل اطلق فى التحريم مجرد الرضاع •

وقد روى عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « كان فيما يتلى عليكم فى كتاب الله عشر رضعات فنسخن بخمس رضعات » وموقف الفقهاء حيال هذا الحديث مختلف ، فمنهم مقر بصحته ، ومنهم من يضعفه •

ولا يشترط فى التحريم ان يكون مقيدا بالطفلين • بل حـكم التحريم يسرى الى مافوق، والى ما تحت من بنين وبنات المرضعة وزوجها عملابقوله صلوات الله عليه « يحرم من الرضاع ما يحرم بالنسب »

والرسول عليه السلام يقول فى الحديث الصحيح : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور متشابهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام » •

ولهذا نقول ـ والله أعلم ـ ان من أراد أن يحتاط فى دينـه ، ويتقى الشبهات فى أعماله ، فليبتعد عن مثل هذا الزواج اذا لم يكن قد تم ، فاذا كان الزوج قد دخل بزوجته، فالعقد صحيح عند الشافعية ومن نحا نحوهم، ولايقدح فى صحته قول المالكية ومن اتبعهم • فدين الله يسر ولا ضير على المسلم ان اقتدى بامام مجتهد متفق على امامته »

صلاة الجمعة خلف الراديو والتليفزيون

تلقينا من السيد / محمود سيد أحمد الشريف • من بنى سويف • السؤال التالى :

« قرأت بجريدة الاخبار • ان صلاة الجمعة جائزة خلف الراديو والتليفزيون ، وان المسجد ليس بشرط فى صحة صلاة الجمعة ، وان سماع الخطبة من المذياع يحقق الفرض منها ، لان بعض الأئمة فى الريف يكرر الخطبة التقليدية ، وعلى هذا فالخطبة المذاعة بالراديو أوفى وأكمل •

لذلك نرجو من سيادتكم شرح ذلك بمجلتنا الحبيبة الى قلوبنا العظيمة فى نفوسنا • مع العلم بأننا أحيانا نكون بالمزارع ، أو بالمصانع ، ومعنا الراديو ، فهل يجوز لنا أن نقيم الجمعة حيث نكون ؟ »

الجواب :

لاتصح صلاة الجمعة ، لا عن طريق الراديو ، ولا عن طريق التليفزيون لشروط مفقودة اشترطها الائمة • فقد اشترطوا لصحة صلاة الجمعة • أن تكون الصلاة داخل أبنية محدودة ، واشترطوا امكان وصول المأموم الى الامام بدون ازورار أو انعطاف ، وان لايتقدم المأموم على الامام •

وتلك الشروط المتفق عليها فى المذاهب الاربعة لاتتوافر فى الصلاة خلف المذياع أو التليفزيون •

والحكمة من صلاة الجمعة بالشروط المتفق عليها عند الأئمة ، هو اجتماع المسلمين فى ذلك اليوم الكريم للتعارف والتآلف والتشاور ، ولتدعيم معانى الاخوة والوحدة بينهم ، وما يترتب على ذلك من اعتزاز المسلمين بدينهم ، والمشاركة الوجدانية والروحية والقلبية فى طاعاتهم وعباداتهم•

وأيضا فان الاحساس بوجود الامام ، والشعور المشترك الذى يربط المصلى بامامه ، والاحساس بالهامات المسجد وقداسته ، يجعل الاشعاعات الروحية ، تعمر القلوب ، وتغمر النفوس ، وتمنح التذوق الكامل لجلال تلك الفريضة المقدسة •

واذا جارينا الاهواء والآراء التى تنادى باباحة الصلاة خلف المذياع وأشباهه ، فقد يصل بنا التمادى فى التحلل من القواعد الدينية الى أن يصلى كل منا على سريره مكتفيا بمذياعه أو تلفزيونه ، وبذلك نفتح أبوابا من الشر قد تصل بنا الى التمزق والمروق •

● اجتماع الرجال مع النساء فى حلقات الذكر ! ؟ والشعوذة والدجل باسم التصوف !؟

تلقينا من مشترك بالمجلة • السؤال التالى :

« أنا رجل مسلم، أومن بالتصوف، وأعتقد أنه الطريق الموصل الى الله • وأومن بالصوفية كرجال دعوة وارشاد وهدى ، ولقد ظهر فى مدينتنا منذ بضعة أعوام رجل استطاع ان يجمع حوله جمهرة كبيرة من المريدين ، من بينهم نساء يجلسن فى مجالس الرجال ، ويذكرن فى حلقات الذكر مع الرجال جنبا الى جنب ، واذا ناقشنا احدهم فى اختلاط الجنسين • كان الجواب : ذكر الآية الكريمة : « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات »

واعجب من هذا ، ان الشيخ المذكور لا يقيم الصلاة ، بدعوى انه يصلى فى الحرم ويأخذ أتباعه ليحل بهم على بيوت الناس أياما وشهورا حتى أن كل من أتبعه فارق عمله ، وتدهورت حالته المالية ، واصبح عالة على الناس

ولى أخ انضم الى هؤلاء الناس ، وترك زوجته وأولاده فريسة للفقر والجوع بدعوى ، أنه يسلك الطريق الى الله

فهل يتفق هذا ياسيدى مع التصوف • نريد توجيها صادقا ، وكلمة فاصلة ، على صفحات مجلتنا الناطقة باسم التصوف والصوفية • »

الجواب :

التصوف هو روح الاسلام وجوهره ، هو الاعتصام الكامل بكتاب الله وما يرشد اليه ، والتمسك الكامل بسنة رسول الله والاقتداء الحرفى بنهجه وهديه •

التصوف هو أولا ، أدب ايمانى ، وخلق مثالى ، وعبادة دائمة ، ويقظة روحية ، وجهاد ايجابى شامل لكل ميدان من ميادين الحياة •

فالصوفى هو الانسان الكامل ، الذى جمع فى قلبه ، وفى عمله ، وفى خلقه ، مقامات الاسلام كافة ، من اسلام وايمان واحسان وهجرة وجهاد•

والامام معروف الكرخى يقول : « كل من زاد عليك فى خلقه زاد عليك فى تصوفه » والامام سهل بن عبد الله التسترى يقول : « أصول طريقنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الاذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة • وأداء الحقوق » ويقول الامام الشبلى : « التصوف مراقبة الله مع كل نفس يصدر عنك »

ويقول سيد الطائفة الجنيد : « من ترك الاكتساب فقد ترك السنة ، ومن ترك السنة فقد برىء منه التصوف » ويقول الامام الغزالى : « يعرف الصوفى عند أداء الفرائض ، وعند بذل المال لخير الناس ، وبذل الروح فى سبيل الله »

فالتصوف هو الكمال فى العبادة ، والكمال فى الاخلاق ، والكمال فى المعاملات والكمال فى العزة والقوة ·

هذه المثالية الايمانية هى مدارج التصوف ومعارجه ، وهى الميزان الذى يوزن به كل من يدعى صلة بالتصوف ، أو انتسابا اليه ·

اما هذا الدجل الرخيص، وهذا الخلق الهابط ، والتحلل المارق والضعف المخزى ،والسلبية الميتة ، فليس من الاسلام ، ولا من التصوف فى شىء

ان الاسلام يريد من أتباعه العزة والقوة والكفاح والسعى فى الارض لاكتشاف واخراج كنوزها وكسب الرزق من مدخراتها ، ليعول نفسه واسرته ، ولينفع أمته · وان الجهاد فى سبيل الرزق فى منطق الاسلام ليضاهى الجهاد فى سبيل الله ، فمن ترك أولاده ونفسه عالة على الناس بدعوى العبادة أو سلوك الطريق ، فقد برىء منه الله ، وبرىء منه الاسلام والتصوف ·

والاسلام عفة وشرف ، وكرامة وطهارة ، ومن مبادىء العفة والطهر ، ومن قواعد الاسلام الاولى · ان لايختلط الرجال بالنساء · وشرط الذكر طاعة الله ورسوله · فكيف يذكر الذاكر وهو يعصى الله ورسوله ، ويخالف أمر الله ورسوله ·

ولقد كانت زوجات رسول الله أعظم طهرا وعفة من نساء العالمين · ومع هذا خيف عليهن الفتنة ، وأمرهن الله سبحانه بقوله « وقرن فى بيوتكن »

ودخل عبد الله بن مكتوم على رسول الله · وعنده من زوجاته عائشة وصفية فامرهما بالاحتجاب · فقالتا أنه اعمى · فقال عليه السلام : « افعمياوان أنتما · الستما تبصران »

ولقد قامت امرأة الى رسول الله فقالت : انك تصافح الرجال · ألا تصافح النساء ؟ قال : لا »

انّ اختلاط الرجال بالنساء فى الذكر أو فى الحلقات الزائفة التى يدعى اصحابها انتسابها الى التصوف ـ وهو منها برىء ـ عمل من عمل الشيطان· وهو ومن يقوم به حطب جهنم ·

وكلمة أخيرة فى مسمع الدنيا ·· لاشأن للطرق الصوفية بهؤلاء المارقين· والتصوف لايحمل وزر المفسدين ·· والله يهدى الى سواء السبيل ·

أخبار صوفية

مولد الامام الحسين

⊙ احتفل سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمولد الامام الحسين رضى الله عنه كعادته السنوية ، فاقام سرادقا ضخما فخما بميدان الحسين ، كان يؤمه فى كل ليلة رجال الطرق الصوفية والعلماء والادباء وكبار الشخصيات العربية والاسلامية كما كانت تمد فيه الموائد دائما للبر بالفقراء .

وفى اليوم الختامى لهذا المولد الكريم ، اقام سماحته مأدبة غذاء حضرها سفراء الدول العربية والاسلامية ، وكبار الشخصيات ، وأساتذة الجامعات والمعاهد الدينية والتربوية .

⊙ كما احتفل السيد حلمى عرفه وكيل المسجد الحسينى بجميع ليال هذا المولد بداخل المسجد ، حيث تناوب مشاهير القراء تلاوة آى الذكر الحكيم . كما حرص سيادته على تقديم الاطعمة والحلوى للفقراء والمساكين .

ولقد بذل السيد حلمى جهودا كريمة مشكورة خلال تلك الايام الطيبة المباركة . مما كان له اكبر الاثر فى نفوس الزوار والرواد وراحة الناس جميعا الذين هرعوا من كل فج لزيارة سبط الرسول وسيد الشهداء .

مولد القطب الكبير ابراهيم الدسوقى

⊙ حضر سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ المشايخ مولد العارف بالله السيد ابراهيم الدسوقى ، وبرفقته الاساتذة : السيد ميرغنى الادريسى ، والسيد محمود كامل يسن ، وطه عبد الباقى سرور ، وقد طاف سماحته بسرادقات مشايخ الطرق الصوفية ، موجها اليهم نصائحه وارشاداته بالمحافظة على الآداب والمثل الصوفية العالية ، والحرص على جلال المولد وذكرى صاحبه العظيم ، ومحاربة البدع والعادات والتقاليد التى يبرأ منها التصوف والصوفية .

ولقد قامت اللجنة التى كونها سماحته للاشراف على المولد بواجباتها على الوجه الاكمل ، مما جعل احتفال هذا العام اقرب ما يكون الى الكمال المنشود .

مولد سيدى مرزوق

⊙ احتفل السيد محمد حسن شمس الدين شيخ الطريقة الاحمدية

المرازقة بمولد جده العـــارف بالله سيدى مرزوق ، بتلاوة آيات الذكر الحكيم والذكر الشرعى ، واطعام الفقراء ، والبر بالمساكين .

وفى اليوم الختامى لهذا المولد ، احتفل سيادته بتسيير موكبه السنوى الكبير ، وقد كان موكبا عظيما جليلا خاليا من كل بدعة وشائبة .

مولد الامام السيد أحمد الرفاعى

◉ تحتفل مشيخة السادة الرفاعية بمولد العارف بالله امام الطريقـــة الاول السيد أحمد الرفاعى بمسجده بالقلعة ابتداء من يوم الجمعة ٥ ديسمبر عام ١٩٥٨ الى يوم ١١ منه .

وستقام حفلة افتتاح كبرى بمسجد الامام الرفاعى بعد صلاة المغرب من مساء يوم الجمعة المذكور ، حيث يلقى كلمة الافتتاح السيد حسين يسن الرفاعى وكيل الطريقة الرفاعية .

وستسير الطريقة موكبهـــا التاريخى العظيم فى اليوم الختامى لهـذا المولد فى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم . من المشهد الحسينى ، الى مسجد الرفاعى .

وقد اصدر السيد محمود كامل يسن شيخ الطريقـــة الرفاعية وعضو المجلس الصوفى الاعلى ، تعليماته الى رجال طريقته بالابتعاد عن كل مايشوه جلال المولد والموكب ، من عادات وتقاليد دخيلة على التصوف والصوفية .

لجنة تأديبية

تقدم فريق كبير من السادة مشايخ الطرق الصوفية بشكوى ضد أحد مشايخ الطرق الصوفية ، لما ينشره هـــذا الشيخ فى صحيفته من مطاعن كاذبة ، وتشهير غير كريم بالتصوف ، والطرق الصوفية ورجالها وشيوخها !

وقد اصدر سماحة السيد شيخ المشايخ قرارا بتشكيل لجنة للتحقيق مع هذا الشيخ . على أن تعرض نتيجة هـــذا التحقيق على المجلس الصوفى الاعلى ، لاتخـــاذ ما يراه من قرارات على ضوء هذا التحقيق .

اذاعات صوفية

اذاع الاستاذ الدكتور محمد غلاب من دار الاذاعة بالقاهرة محاضرة عن المدارس الصوفية من الناحية العلمية والتاريخية ، وسيوالى ســـيادته اسبوعيا اذاعة هذه المحاضرات التوجيهية النافعة .

حلويات

فينـــوس

سعادتى بهـــا لا تقارن

أصناف ممتـازة تفخر بتقديمهـا ربة كل منزل
مصنوعة بطـريقة آلية تحت اشراف خـــبراء عالميين

بســـكوت بالشـــيكولاته · بنبـــون · طـوفى ديللوكس

فوريهات مشكلة · كرمـلات معجونة بالزبدة واللبن
تباع فى جميع محلات الحلوى والبقاله الكبرى

انتـــاج أكبر مصـــانع فى الشرق
شركة المنتجـــات والتعبئـــة المصرية ش · م · م الحوامدية

تليفون : ٣٤٥٦٠

شكر واجب

ابراهيم توفيق خضر يسجد لله شكرا على شـفائه وجميل نعمائه ·· ويتقدم بالشكر للاسـتاذ الدكتور « على مرتضى » مدرس طب العيون بالقصر العينى على نجـاح العمليـــة التى أجراها له كما يشكر السادة: زائريه ومدير وحكيمة وممرضات وخدم مستشفى الروضة بالمنيل على عنايتهم الفائقة به أثناء مرضه ·· ويعتبر هذا شكرا خاصا لكل منهم ·· متعهم الله جميعا بالصحة والعافية ·

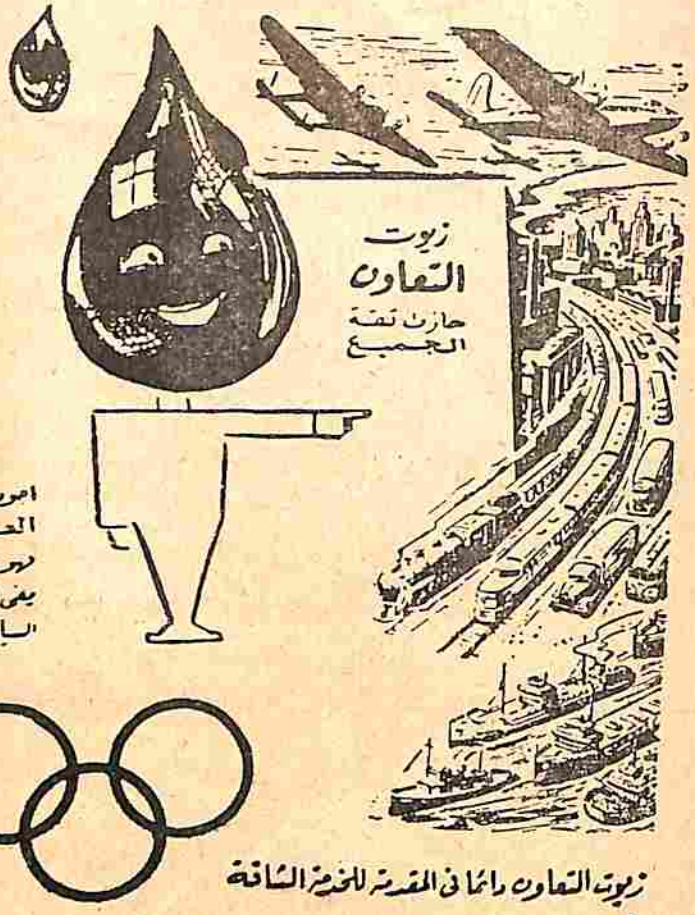

زيوت التعاون دائما فى المقدمة للخدمة الشاقة

الجمعية التعاونية للبترول

هل تتشابه
جميع أنواع البنزين ...؟
بالطبع لا ..

سوبر شل ٨٥
ذو درجة أوكتين أعلى

يحتوي على

١	ض ١
إضافات	ضبط الاشعال

بنزين سوبر شل

هو الوحيد الذي يحقق لك قوة أكبر وقيادة
أسهل وتوفيرا في استهلاك الوقود لجمعه بين
درجة أوكتين أعلى و ١. ض. ١٠ «إضافات ضبط الإشعال»

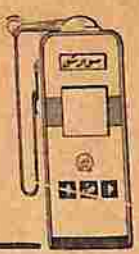

دار القاهرة للطباعة

(طبعت بمطابع جريدة القاهرة)
٣٦ شارع منصور ت : ٣٠٨٠١ ـ ٣٠٨٢٤